المحاورات الجديدة

أو

دليل الرجل الذكي إلى الرجعية والتقدمية

وغيرهما من المذاهب الفكرية

د. لويس عوض

المحاورات الجديدة

د. لويس عوض

المحاورات الجديدة

أو دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية

دار ومطابع المستقبل
بالفجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة
والنشر ببيروت

الطبعة الأولى : روز اليوسف الكتاب الذهبى ١٩٦٥
الطبعة الثانية : دار المستقبل ١٩٨٦

مقدمة لابد منها

فى الثالث من يونيو ١٩٦٥ اشتركت فى مهرجان الادب الذى اقامته محافظة الدقهلية بمدينة المنصورة ، وتكلمت فى ندوة حية اشتركت فيها مع الدكتورة بنت الشاطىء والاستاذ محمد زكى عبد القادر والاستاذ محمود العالم ، وكان موضوع هذه الندوة « لقاء الثقافات » والحق ان موضوع الندوة الذى اختاره لنا أدباء المنصورة الشبان كان فى حد ذاته موضوعا ذكيا يدل على حذق كبير فى اختيار الموضوعات ، لاسيما وان المتكلمين كانوا يمثلون بقدر عددهم مختلف تيارات الفكر من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ، ولم يكن ينقصهم الا اثنان ليمثلوا كل الوان الطيف أو ثلاثة ليمثلوا كل درجات السلم الموسيقى .

فلا غرابة اذن ان كان اجتماع هؤلاء المتحدثين فى حد ذاته « لقاء ثقافيا » من نوع فريد ، ولست استبعد ان اهل المنصورة الاذكياء قد تعمدوا ان يرتبوا هذا اللقاء ليظفروا بجلسة مثمرة ، والذى نبهنى الى هذا انى سعدت قبل الندوة بالتعرف للمرة الاولى الى فضيلة الاستاذ محمد

الغزالي وأتيح لنـا ان نتبادل الحديث خلال ثلاث ساعات قبل بـدء الندوة ، من الغداء الى الاصيل فى أمـور الفكـر والثقافة وأمور الدنيـا والدين ، وانضم إلينا الاستاذ محمد زكى عبد القادر ، ثم اكتشفت أن ذكيـا من أذكياء المنصورة سجل كل مادار بيننـا من حوار على ريكوردر على غير علـم منـا • وقد اختلفنا قبـل النـدوة وأثناءها بما أرضى كل الاتجاهات الفكرية على وجـه الارض • وليس هنـاك مـا يـدعو لان اعيـد ما قاله القائلون او ان اتحمل مسئولية عرض افكار الغير فقـد اتهم بتشويهها • ولا سيما ان الامر تعقـد بعـد النـدوة الرسمية حين حمل اهـل المنصورة ضـيوفهم القاهريين نحـو منتصف الليل فى ركب من السـيارات الى مصيف جمصة فوجـدت نفسى على رمال الشاطىء بين عبـد الرحمن الخميسى وصلاح عبد الصبور واحمـد حجـازى والدكتور عبـد القادر القط والدكتور عز الدين اسماعيـل وفاروق خورشيد ورجاء النقاش وعبـده بـدوى وعامر بحيرى وعباس خضر • وعـدد عظيم من الادباء والمتأدبين • وكثـر اللغط وتفرق وتجمع وتشتت فى الرياح ورفرف بأجنحـة فى الظلام على امواج البحر الابيض المتوسط ثم تلاشى الى الابد

ولكن الذى لفت نظـرى فى كل هـذه المناقشات هـو نـوع الاسئلة التى كان يوجهها الينا شباب المنصورة ، وهم

بغير شك يمثلون قطاعا من شباب مصر ، فقد كان أكثر هذه الاسئلة اسئلة حائرة تريد ان تستطلع معنى « الرجعية » و « التقدمية » وتريد ان تستوضح حقيقة دور الاستعمار فيما يسمى عادة بالغزو الفكرى أو الغزو الثقافى ، ولانى احسست بأن هذه الآسئلة الحائرة تعبر عن أشياء كثيرة عامة فى نفوس عدد كبير من الشباب الذين يسمعون هذه الالفاظ والعبارات تتطاير كالشرر دون ان يعرفوا لها معنى محددا ، فقد دفعنى هذا اثر عودتى الى القاهرة ان اتشبه بما فعله برناردشو ، فأكتب « دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » ٠ اكتبه من وجهة نظرى وفى حدود علمى وبوحى ثقافتى وتكوينى النفسى وربما من زاوية رجل تجاوز الخمسين جذوره الاجتماعية فى الطبقة البورجوازية المهنية والبيروقراطية التى انقذتها الثقافة الانسانية من فردية المهنيين ومن تقليدية البيروقراطيين ٠ وانا اذكر كل هذه المواصفات عن نفسى لاعتقادى آن للبيئة دخلا كبيرا فى تشكيل افكار الانسان واستجاباته ، بل ومقومات شخصيته الاساسية ٠

وبعد ان عدنا الى القاهرة قال قائل : ولماذا لا تنقل ندوات المنصورة التى دارت فى مدرسة ابن لقمان وفى فندق الاكروبول وفى سيارات المحافظة وعلى بلاج جمصة فى صورة

محاورات جديدة مفتوحة تتدارس فيها كل هذه الآراء ، وربما انتهينا الى شيء ينفعنا وينفع الناس ؟

قلت : لا بأس ، ولكن بشرط واحد : وهو أن تسود روح جمصة فى القاهرة ٠

قال : وما روح جمصة ؟

قلت : الا تذكر ليلة كذا تحت الخيمة العظيمة ، وهى أعظم من خيمه السيرك ، ويسمونها الكازينو فيما أعتقد ، وكنا نستشرف البحر المالح ونأكل الكباب والدجاج حتى الفجر ، والى جوارنا سبعة من طهاة المنصورة وسفرجيتها يشوون لنا اللحم بأمر المحافظ على الطريقة السكسونية التى يسمونها طريقة « الباربكيو » أو الشواء الدائر فوق النار دوران محمصة البن ؟ كنا ساعتها نتجادل طويلا وعميقا وخطيرا ولكن فى هدوء ، لان رائحة الشواء التى جاءتنا على أجنحة النسيم السارى من أرخبيل ايجة طمأنت قلوبنا وسكنت اعصابنا كأنها انغام من مزامير كاريا أو الحان من قيثارة أيولية عزفت على اوتارها أنامل ايوليوس رب النسيم ٠ وأنتم ادباء القاهرة ، ملتهبون ، ونحن فى يونيو والحر لا يطاق وكل موضوعاتكم ملتهبة ، فاذا وافقت ووافق الجميع ان يتم كل شيء فى ابتسام ، تجادلنا وتحاورنا الى ما شاء الله ٠

فالغضب ممنوع والزعل مرفوع ، ولا أظن اننـــا مستطيعون ان نحل مشاكل الانسانية فى جلسات ٠

قال : موافق ٠

وقالوا : موافقون ، بشرط ان نخلط الجـد بالهزل والهزل بالجـــد ٠

قـلت : ٠٠ ما الى هـذا قصدت ، فنحن لن نتكلم الا جـدا فى جـد ، ولكننـا سنقول كل شىء فى ابتسام ، وحتى لا يغضب احـد سنستعمل الاسماء المستعارة ، ولن ننسـب اى راى الى قائله بالاسم والرسم حتى يزول الاحراج وتتبسط تحت الاقنعـة الاسارير ٠ ومـا دمنـا فى القاهرة ، وكل منـا الى جوار مكتبته العامرة ، وعلى بعـد اتوبيس من دار الكتب ومكتبة الجامعة ، فهـذه فرصة ذهبية لان نحقق كل ما نقوله ونضبطه على مراجعه ٠ واذا أقتضى الامر دعونا من نشـاء من الخبراء الاجانب ، من افلاطون وارسطو الى ت٠س ٠ اليوت وجان بول سارتر ، بشرط ان ينصرفوا ويعودوا الى بلادهمبمجرد اداء مهمتهم والادلاء بشهادتهم حتى لا تتحول ندواتنا القومية الى مؤتمر لا يعلم عواقبه الا الله ٠ أقول لا بـــد ان يعـــودوا الى بـلادهم فور انتهـــائهم من عملهـــم ، فبعض هـؤلاء تروقـــــه ميـــــاه النيل اكثر مما تروقه ميـاه التيمس والســـين والهدسون

والفولجـا والراين والبو فيتشبث بالاقامة بيننا ولو بدون تصريح ثم يدعو أسرته وعشيرته واخيرا امته الى الارتـواء من مـاء النيل فيغترفوا منـه حتى يجف شريان مصر ٠ فمـا بالكم بخبراء البلاد التى ليست بها انهار ؟

واخيرا أرجو الا يمانع احـد فى استحضار اشباح الادباء والاجـداد من أبووير وبنتاؤور ـ الى العقاد ومحمد منـدور ـ أنـا مثـلا احب أن أستحضر روح المعـرى وابن خلـدون لاناقشهما فى بعض ماقالاه ، وهـذا حق متـاح للجميع ، ولكن أيضـا بشرط ان يعود الاسلاف الى اكفانهم وقبورهم بمجرد اتحافنا بآرائهم السديدة أو السخيفة ، حتى لا ننفصل عن القرن العشرين وحتى لا يتكاثروا علينـا ويملاوا قاعـات سميراميس وشبرد ومنتدياتنا الادبية والفنية فنجـد انفسنا ـ فى مجمع الاشباح وكأننا فى الموقف ، ـ فبعض هؤلاء الموتى أراذل يتشبثون بالحياة ولا يكتفون بعمرهم ولكن يريـدون ايضـا ان يأخـذوا عمر غيرهم ٠

قالوا : موافقون هـل لـك شروط اخرى ؟

قلت : نعم ، ان يشترك معنـا فى الحوار ادباء القاهرة وفنانونها ومفكروها الـذين تخلفوا عن حضور مهرجان الادب فى المنصورة ، مثـل أعضاء المجلس الاعلى لرعاية الفنـون

والآداب وهيئات تحرير مجلات وزارة الثقافة ومن شاء من اعضاء المجمع اللغوى والفنانين التشكيليين ورجال الموسيقى الخ ٠ فبعض هؤلاء غاية فى التسلية ولا سيما دعاة البعث العثمانى ، ومن يؤمنون بتحقيق الوحدة العربية عن طريق نشيد « أنت عمرى » كما حققت ملينا مركورى الوحدة العالمية عن طريق « فى يوم الاحد مستحيل » وذلك المعمارى العظيم الذى يدمن باخ ونيفالدى ويشترط على وزارة الاسكان هدم جميع مبانى القطر واعادة بنائها بقباب بيزنطية ومشربيات مملوكية ٠

وبعد ان فرغنا من كل هذه المداولات الاجرائية كان السؤال الاول بالبديهة هو : كيف نبدأ ؟ وأين نبدأ ؟

قلت نبدأ بالماسكات أو الاقنعة ٠ مثلا فلان وفلان وفلان من خيرة شبابنا المثقف العاكف على الآداب والفنون ، ولكنهم فى الواقع ليسوا أدباء ولا فنانين ولا فلاسفة بعد ، ونرجو ان يكونوا كذلك بعد عشر سنوات ٠ لهذا سأكتفى بنماذج أو عينات منهم حتى لا يشوشوا على محاوراتنا بكثرة الصياح وحماس الشباب ٠ سأكتفى بفلان وهو صبى ادباتى فى شئون الشعر والنثر وذلك القالب الثالث الذين يسمونه الدراما وسأكتفى بفلان وهو صبى نقاش استهوته البوية فاشترك فى اتلييه القاهرة وذهب يلطخ القماش

بالتبقيغ والتجريد والتجسيد والتكعيب والتلعيب بـدلا من تلطيخ الجدران ومن آن لآخر يلعب بالحجر والخزف والخشب فيدق عليه بالازميل ، ويسنفره · وسأكتفى بفلان وهـو صبى زمار قضى صباه فى درب العوالم المتفرع من شارع محمد على حيث اكاديمية الزمارين ثم خالط بعض الخواجات فى جازباند الكورسال والكونتننتال فضحكوا عليه واغروه بآلة مضحكـة تسمى الكلارينيت قبل ان يبلغ العشرين ، واعجبـــه لبس السموكنج فأطلق شعر راسه ودخل الكونسرفاتوار ولكنـــه كان دائما يخلط بين كونشرتات موزار ودقات « أيوب المصرى » فنصلوه وقرر أن يحترف التأليف الموسيقى الذى يصلح لخصر عدى شمس الـــدين ، ولاوركسترا القاهرة السيمفونى فى وقت واحـد ، فعين فى لجنة الموسيقى بالمجلس الاعلى للفنـون والآداب ·

وكان معه فى صباه غلام ، وهو صبى قرداتى – واخته الصغرى آكلة النار مثله من درب العوالم فى سن البلـــوغ واشتغلا بمهنة البلياتشو على البيانولا فى شارع ألفى بـك سنتين أو ثلاثا وكان خيالهما نشيطا كعضلاتهما فدخلا معهـد البالية ودرسا على يـد الخبير الروسى جوكوف الذى لاحظ ان مشية تشارلى شابلن فى ألفى بك قوست ساقيه تقويسا عضويا أو نفسيا ، وان أرداف اخته ثقلت بســـبب اكـل

التشويات والمفتتة فأحالها الى الخبير الروسى رامازين الذى عجز عن تقويمهما وتشاجرا معه واتهماه بمعاداة القوميـــــة العربية لانه يصر على ان يكون الرقص بالرجلين واليـــدين وحدهما دون اشتراك الخصر ، ولما انتصر رامازين عليهما فى هـذه الازمـة عـادا واتهماه بمعاداة الاشتراكية والفـن الشعبى ، لان شعبية الفن فى مصر دعامتها الاساسية تشغيل الجزء الاوسط من جسم الانسان ٠ وهو لم يخرج بعد من هذه الورطة وانما ينتظر ان تسحبه حكومه الاتحاد السوفيتى لانه لم يفهم تماما كتاب ستالين فى المسألة القومية ٠

وبعد صبى الادباتى وصبى النقاش وصبى الزمـــار وصبى القرداتى وصبية ألبليانتشو ، هناك فلان وهو صبى فلفوس يدعو للجوانية والبرانية معا ويمضغ اسماء كثيرة غـريبة من امبادوقليس الى ثراسيما خـوس ومن الاكوينى والبرت الكبير الى هولباخ وكوندورسيه وقد استطاع ان يوقف قمة الهرم الهيجيلى المقلوب على قمة الهرم الماركسى المعـدول فبـدا الهرمان فى شكل هنـدسى طريف شبيه بوضـع أولاد عاكف فى التمرين المشهور حيث يلتصق الراسان ٠ وغير هؤلاء صبيان كثيرون وكل هؤلاء ليسوا بحاجة الى اقنعـة لتخفى شخصياتهم لان شخصياتهم لم تتكون بعـــد أو تتضح فيها ملامح مميزة ٠

ولكن المشكلة الحقيقية كانت فى اعلام الكتاب والفنانين. كان لابـد ان اصنع لهم ماسكات يخفون وراءها ملامحهم ، فذهبت الى أمهر صانع اقنعـة فى القاهرة ، وكان هـو نفسه أحـد هؤلاء الاعلام ، وربما كان علم الاعلام ، وكانت هوايته الاولى ان يصنع الماسكات للآلهـة وانصاف الآلهة والابطال رجالا ونساء ، وكان دكانه فى برج عاجى ، فلما سمع المظاهرات بقيـادة ابن سيركوف • وابن ماركوف يعلو لغطهـا ويرتفع هتافها : فلتسقط الأبراج العاجية ! فليسقط الفن الانعزالى ! نريـد ماسكات ، نريـد ماسكات ! الفن للمجتمع ! الماسكات لابناء الشعب الا ماسكات لابنـاء الذوات • خاف ان يحـرق المتظاهرون دكانه ، أو على الاقل ان يقتحموا عليه برجـــه العاجى نبتدول الى اسطبل ، فأخـذ يصنع الاقنعـة لكل من هب ودب ويوزعها على الجماهير ، وكانت اقنعته طبعـا من نوع ردىء والاغلب انـه كان يصب المصيص فى قالب واحـد او قالبين ، ولكنه نجح على العموم فى اســكات المتظاهرين فانصرفوا عنه وتركوه يعمل فى سلام •

قال صانع الاقنعة : لا تقحمنى يا حبيبى فى مشاكلك ، انـا رجل مسن واحب الهدوء وقـد نجحت الى حد كبير خلال ثلاثين سنة من العمل المتواصل فى ان أرضى جميـع النـاس اليمين واليسار والوسط ـ ولو انى ساعدتك فى صنع اقنعـة

لادبــاء مصر وفنانيها لاغضبتهم منى ٠٠٠ هيـا اصنع اقنعتك بنفسك ، وتحمل مسئولية عملك ٠

قلت يائسا : ولكنها ستكون اقنعة رديئة لا توافق مـا وراءها من وجوه ، أو أقنعة شفافة تبـدى كل مـا تحتهـا من ملامح ٠ إنـا اريـد ان تكون « المحاورات الجـديدة » محاورات فنية محجبـة مثـل محاوراتك ، لا محاورات فلسفية سافرة مثـل محاورات أفلاطون ٠ الم تعلمونا ان الفـرق بين الفن والعلم هـو الفرق بين الحجاب والسفور ؟ انظر لنفسك مثلا : انت قـد صنعت لنفسك قنـاعا ممتازا لبسته أكثر من ثلاثين سنة ، فلم يستطع احـد ان يكشف من تكون أو ان يقرأ ما يـدور فى راسك من افكار ومعتقدات ٠ لـم يستطع أحد ان يعرف ان كنت على يمين الوسط او على يسار الوسط تماما مثـل شكسبير ـ والقياس مع الفارق ـ كانت مهنته الكلام ، ولم يستطع احـد ان يحل لغـزه أو ينسب اليـه آراء أو معتقدات محـددة رغم انـه لم يكف عن الكلام طـول حيـاته ٠

قال مبتسما : ومـا ادراك ان فى رأسى آراء ومعتقدات غير مافى رءوس شخصياتى ؟

قلت : هل يمكن لانسان ان يعيش بـلا آراء ومعتقدات؟

قال : تناعى لم يكشفه بعد انسان . لا عليك . أنت تريد ان تحل لغز الفنان فى خمس دقائق . انا اذكر أيام ان كنت مع طه حسين فى السافوا العليا ومعنا مدام طه ونحن فى كوخ من تلك الاكواخ المسحورة وسط الغابات المسحورة ، وكانت هناك بحيرة مسحورة اتعرف كيف استدرجنى طه حسين الماكر الى السافوا العليا فوجدت نفسى اركب القطار كانى مجرد من الارادة .

ثم مضى صانع الاقنعة يقص على قصه لا راس لها ولا ذنب ويبتهج أمامى بذكريات بعيدة حدثت نحو عام ١٩٣٦ وكانت ثمرتها كتاب كذا ، ولم يكف عن الكلام نحو ثلاث ساعات ، وكلما أردت أن اقاطعه قاطع مقاطعتى حتى اقتربت الساعة من الرابعة مساء فاستولى على اليأس تماما واصبحت مشكلتى ، لا ان اظفر من صانع الاقنعة بأقنعة استر بها وجوه شخصياتى بل كيف استخلصه واستخلص نفسى من حبائل ذكرياته . واستنجدت بصديقنا السندباد الجديد الذى أدرك نظرتى الضارعة .

فقال لقد آن الاوان لنعود الى زوجاتنا .

وهكذا حملنا السندباد الجديد على متن - أو على الاصح داخل - سيارته المرسيدس كما داب ان يفعل كل اسبوع وانزل كلاهما عند زوجته ثم افاق هو ايضا الى زوجته .

ورأيت انـه لابـد مما ليس له بـد ، مادام صـانع الاقنعة المـاهر لا يريد ان يساعدنى ، لم يبق الا ان اصنع اقنعتى بنفسى ، فاذا كانت رديئة أو شفافة أو لا تنـاسب أصحابها ، فهى على كل حال خير من لا أقنعـة ، لقـد مضى الزمان الـذى كان فيـه أفلاطون يـدير محاوراته على لسان سقراط وجلوكون وتراسيماخوس وايون ·· الخ · فأدباؤنا اليوم شديدو الحساسية ولا مناص من سترهم بأقنعة ، ولكى لا اعطيك ايهـا القارىء فرصة للابتهاج بذكائك ابتهاجا سريعا لن أذكر لك اسماء « أشخاص المحاورات » أو أرتب لك الاقنعة التى صنعتها بحسب أدوار اصحابها كما يفعلون فى الصفحة الاولى من المسرحيات بل سأعرضها عليك مهوشة ومختلطـة حتى يختلط عليك امرها فلا تميز منها احـدا الا بحسب كلامه وسلوكه : واليك قائمة ببعضها :

ابوالفتوح الصباح ، الخشداش أيواظ · عـز الدين ايدمر الحيوى · خولة المايسطرية · المـاركسية المسخسخة شجرة اللولى·أبو سيفين صفيح·ابن عروس·ابن قرمط · الشاب الظريف ابوسنة دهب لولى · خليع القبيلة · المعـلم التاسع·المعلم العاشر·ناظر مدرسة ابن العميد·مجـاهد بن الشماخ · كافور الحاوى اغـا كافور الحاوى · على الزيبق الجوكى الشهير بـالزنبرك · دنانير ومعبـد واياس · عميـد الصعاليك · بازرعة بن شخبوط · اغـا طبوزادة · أبو دراس

المنوفى . الفارس المفروس . الفارس الجربوع . أفندم ؟ . أفنـدم ؟ (هذا تقناع وليس سؤالا) الهـر الاسود الحزين . الحرفوش بلا حركشة . كاهن انوبيس . ابن روزنبرج . أبو شوشة الحمى . ابن ماركوف . ابن سيركوف . اغـا أبـو سيفين صـفيح . تاجـر البهارات . الايديولوجى الفهلـوى . أبو المعالى قطز . الملوك الشارد . جراب اليسار مسلول . حـلاق المـلوك والفقراء . المخلص الكفء . المخلص الراسى . الذاتى الموضوعى . بقال العروبة . بقال الاشتراكيه . بقال الثقافة . الفارس المتعالى . على كل لون غلبان . على كل لون مفترى . على كل لون عياش . ذو الاقنعة السبعة . جوركى المذعور . المتكتك المحترم . المتكتك الدؤوب . المتكتـك الخيبان . المتكتك الشريف ... حامل الحقائب ... لولو الجربان . غير ما يستجد من شخصيات واقنعة ، وشخصيات بـلا أقنعة واقنعة بـلا شخصيات وعـــدد عظيــم من الكومبارس الذين يطلون برءوسهم لحظـة أو لحظتين ليقولوا « نعـم يا سيدى » ـ ثم ينصرفون الى الابـد .

ومن غير المعقول طبعـا ان يشترك كل هؤلاء فى الحوار فى وقت واحـد ، والا حدثت غاغة فى عالم الفنون والآداب والعلوم الانسانية . ولهـذا كان من الحكمة ان تنظـم محاوراتهم على طريقة البرنامج الثانى أو القناة التاسعة ،

أى ثلاثا ورباعا وخماسا وليس على طريقة الجمعيـــــــات العمومية غير العـاديه • ثم نشـات اثنـاء المداولات نقطـة نظـــام •

اعترض معترض : وهـل نحن بحاجة حقـا الى كل هذه الشخصيات لنجيب علىالاسئلة التى طرحها علينـا ادبـــاء المنصورة ؟

قلت : نعم ، واكثر منها ، وسترى بنفسك • ولكن المهم هـو حفظ النظام حتى لا يختلط الحق بالباطل أو نخرج من هـذه المناقشات بلا ثمرة او يختفى الابتسام ونتضـــــارب وكأننـا اعضاء البرلمـان الفرنسى فى الجمهورية الثالثة •

قال على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : أنـــــا معترض على هـذه الاقنعـة التى صنعتها لنـا • خـذ مثلا قناعى • انـه لا يناسبنى ، وسيظن الناس طـول الوقت أنى شخص آخر •

قلت : لا تغضب ، انما يلام صانع الاقنعة لانـه أبى ان يعاوننى • ومع ذلك الم نتفق على ان يتم كل شىء فى ابتسام ؟ اذ لم يعجبك اجتهادى فأنا مستعد للعدول عنـه • أى قنـــاع تقترح لنفسـك ؟

وهنـا سكت على الزيبق متدبرا ، وطال سكوته حتى مـل الحاضرون •

وحل صانع الاقنعة هـذه المشكلة بقوله : حتى لا نتعطل كثيرا ، انـا اعـدكم بانى ساصنع قنـاعا جـديدا لكل من يضيق بقناعه ، لابـد من نقطة ابتداء وانهم ان نتقـدم من هـذه النقطة ٠

فهز الجميع رءوسهم علامة الموافقة فقـد كانوا يكنون للشيخ احتراما عميقـا وشاع فى الاسارير سرور غامر ٠

اعترض الايديولوجى الفهلوى قائلا : انا اعترض على كل هـذه الماسكات لانهـا جميعها ممسوخة ، وهى تظهر ادبـاء مصر وفنانيها فى مظهر زرى وتحقرهم فى عيـون مواطنيهم ٠

قلت : انت تغـالى ٠ وما دمنـا قـد اتفقنا على الابتسام فأول شرط من شروط الابتسام هـو قدرة كلمنـا على ان يسخر من نفسه ومن قنـاعه ٠ واذا اردت أن تسمينى المـادى الميتافيزيقى أو البروليتارى البورجوازى او حتى صـبى البشرين فلن اغضب ٠ انا اسمى نفسى مركب الموضـوع اللامركب من لا موضوع ، واذا وجـدت اردأ من هـذا فاقترحه وأحمد اللـه انى لم أتشبه بكليلة ودمنة أو بحواديت ايسوب ولافونتين فأصنع لكم اقنعة من رءوس الحيوانات ٠٠٠ كلاب وذئاب وابناء آوى وقطط ، كما كانوا يفعلون بآلهـة مصر القديمة وفى اعيـاد ديونيزوس فى اليونان القديمة ولا يزالون

يفعلون فى الديانات الزوومورفية فى بعض البلاد المتحررة حديثا او فى بعض الاجناس التى لا تريد ان تنقرض مثل الهنود الحمر ٠

ثم لا تنس ان اقنعتى اقنعة لنماذج بشرية شائعة لادباء مصر وفنانيها ، وليست نماذج لاناس بعينهم ، فنحن جميعا من طينة واحدة وحتى هذه القوالب قوالب متكررة ٠ ابتسم يا اخى !

واقترح آخر : مادمت تتحدث عن النظام فلابد من رئيس لهذا المؤتمر المفتوح ولابد من مقرر يدون كل الآراء ٠

قال رابع : فليكن الرئيس أكبر الاعضاء سنا ٠

قلت : تقصد المعلم التاسع ؟ هذا مستحيل ٠ فليكن نائبه هو صانع الاقنعة ٠ هل من معترض ؟

وهنا صاح الجميع : موافقون ! موافقون !

قلت : وليكن المقرر المعلم العاشر فهو سريع التدوين ٠ هل من معترض ؟

وهنا سمعت أصواتا تزوم واصواتا تتهلل واصواتا تريد ان تقول شيئا ولكنها لا تقوله ٠ غير ان أحدا لم يتقدم صراحة للاعتراض ٠

قلت : السكوت علامة الرضا • ومع ذلك فسيوزع علكيم المعلم العاشر كل محاضر الجلسات أولا بأول • ومن رأى فيها اى تحريف أمكنه ان يصححه •

قال المعلم العاشر : متهللا : ولكنى أريد ان اشترك فى المحاورات لانى اعلم انها ستدخل تاريخ الادب العربى فى القرن العشرين ، وانا كما تقولون معلم ، والمعلم عنده دائما ما يعلمه • ان المحاضر ستشغلنى عن الكلام ، وهذه ستكون مأساة حياتى •

قلت : لا بأس عليك • سجل كل شىء بالريكوردر كما يفعل المقررون العصريون فى البلاد المتحضرة ، وتكلم ماشاء لك الله ان تتكلم •

وهنا سأل سائل : وهل هذه المحاضر للنشر ؟

اجبت : رأيى الخاص انها للنشر حتى يحاسب كل منا فى كلامه ويحاسب على كلامه فلا نتراشق بالسباب أمام الناس كما يتراشق جمهور كرة القدم بزجاجات الكازوزة • فاذا وافقتم ، سلمنى المعلم العاشر محاضر محاوراتكم بعد التصديق عليها وانا اتعهد لكم بنشرها فى «الاهرام» أو فى غير الاهرام ،

وآرتفعت أصوات تقول ان النشر سيحول دون الكلام بصراحة ، رغبة أو رهبة ، وتجعل كلا منا يلبس قناعا فوق

القناع الـذى يكسوه ، واذا كثرت الاقنعة ضاعت الحقيقة ·
وطالب البعض بعقـد جلسات سرية عند الاقتضاء ·

قلت : لا جلسات سرية ولا جمعيات سرية فى عهـــد الاشتراكية · عـار ان يقول هـذا ابناء مصر ونحن نحيا فى ظـل الميثاق ··· من تحرج صدره بشىء فليقله على المـــلا ولكن فى حـدود النظام · الم تعلنوا جميعا انكم بنـــــاة الاشتراكية والديمقراطية بالفكر والكلمة ؟ ان الميثاق سمح يـدع كل الزهور تتفتح داخل الحديقة ونحن ولله الحمـد جميعا نفىء بفيئها · أمـا من راى لنفسه جنة غير هـــذه الجنينة فليمض اليها فهو ليس منا ·

قالوا صدقت : من استودعه اللـه شرف الكلمه امتـلا بالروح وحمل العبء العظيم · فلنبـدأ الحاورات على بركـة اللـه ·

× الاحـاورة الأولى ×

فى العصر الذهبى

دق رئيس المؤتمر ، وهو صانع الاقنعة ، بعصاه على الارض ثلاثا كما يفعل القاضى على المنصة . أو كما يدقون فى المسرح قبل رفع الستار وقال :

ـ باسم ربات الفنون التسع نفتتح هـذا المؤتمر ·

ثم استدرك قائلا : اقصد الربات التسع لا الفنـــون التسع لان الفنون سبعة ولا اعرف كيف جعل اليونان تســع ربات يشرفن على سبعة فنون ، ثم انى لا افهم كيف جعــل اليونان الفلك من اختصاص ربات الفنون ··· ومع ذلـــك فالينـــا بجـدول الاعمال ··· ماهى القضية الاولى أيهـا السيد المقرر ؟

قال المقرر ، وهو المعـلم العاشر :

ـ كان أول سؤال هو سؤال طرحه شــاب فى مهرجان المنصورة ··· نسمع كثيرا عن الرجعية والتقدمية فما تعريف الرجعية وما تعريف التقدمية وهل هناك مقاييس نستطيع ان

نحكم بهـا على رجل ما نستمع له أو نقرأ له أو نرى سلوكه فى الحياة بأنه رجعى أو تقدمى ، ثم ما صـحة ما قرأناه فى مجلة « المصور » من استشراء الرجعية فى البـلاد فى زمن الزحف الاشتراكى ؟ احمد بهـاء الدين قال أن هناك ستمائة الف رجعى مقابل ستمائة تقـدمى .

قال « المخلص الراسى » : أحمد بهاء الدين قال مقابل ستمائة شيوعى ، ولم يقل مقابل ستمائة تقدمى .. اذا اردت احصاء التقدميين ففى البلاد ستة ملايين تقـدمى .

قال الايديولوجى الفهلوى : هـذا يعقد الامـور لان الشيوعيين المصريين منذ الاربعينات يحتكرون لقب التقدميين وهـذا قـد يحدث لبسا لانـه قـد يوحى بأن البلاد فيها ستة ملايين شيوعى ... والحقيقة أن البـلاد فيهـا ، منـذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ستة ملايين تقدمى اما الشيوعيون فعـددهم لا يتجاوز ستمائة ... ارجو النص يا سيدى الرئيس على هـذه الاعـداد ٦٠٠ شيوعى ٦٠٠ر٠٠٠ رجعى ٦ ملايـين تقـدمى ، والا حـدثت بلبلة .

صانع الاقنعة : لا داعى للنص ، فالمسألة واضحة ... ومن لـه تحفظ فليؤجله الى آخر المناقشة ... هـذه نقطـة نظـام .

الفارس المفروس : أولا انا أحب ان اجيب على النقطة الاخيرة وهى استشراء الرجعية بالذات فى عهد الزحف الاشتراكى ... ليس صحيحا ان هناك استشراء للفكر الرجعى ازاء التجدد الاشتراكى لان الاستشراء لا يكون استشراء الا اذا استشرى والدليل على انه ليس هناك استشراء ان وزارة الثقافة انشأت فى ٢٣ يوليو ١٩٦٣ مجموعة من المجلات تلقفتها الرجعية لتأليب المثقفين على مبادىء ميثاق ١٥ مايو ١٩٦٢ وكان اهمها المغفور لهما « الرسالة » و « الثقافة » وقد فعلت هذه المجلات كل ما فى وسعها لتلفت الانظار ، فجمع كتابها كل ما فى الحوارى من طوب وزلط وقطع حديد خردة وصفائح سردين فارغة وزجاجات مكسورة وبلغ قديمة واخذوا يرشقون بها المارة دون تمييز ومع ذلك لم يلتفت اليهم احد ... وجربوا تلعيب الحواجب واخراج اللسان وبطح النفس على طريقة الفلاحين المصريين لا على طريقة فقراء الهنود ، ومع ذلك لم يجد احد فى ذلك تسلية كبيرة ... ولما يئسوا جربوا اللعب بالنار والمفرقعات فلم يخرج منها شىء اكثر من القمر والنجوم وبومب العيد ، اسالوا ناظر مدرسة ابن العميد . وهو رئيسهم .... انه جالس هناك ... رغم كل هذه الالاعيب لم يزد توزيع « الرسالة » عن ٢٠٠٠ نسخة . بدأ ٥٠٠٠ وانتهى ٢٠٠٠ كيف تفسروا هذه الظاهرة ؟ أقول

ان ماجـد منذ الزحف الاشتراكى ليس ازدهار الرجعية بين المثقفين وانما مجرد تجمع عصابات مدربة معادية للاشتراكية.

ناظر مدرسة ابن العميد : هـذا كـذب « الرسـالة » كانت توزع نصف مليون نسخة .

صانع الاقنعة : يا فارس يا مفروس اسكت ... احترم شيخوخة حضرة الناظر .

على المـرء أن يسـعى وليس عليـه ادراك النجـاح .

الفارس المفروس : انا فقط اردت ان أوضح ان البلـد بخير .

الخشداش ايواظ : وكيف البت «الثقافة» و «الرسالة» المثقفين على مبادىء الميثـاق ؟

على الزيبق الجوكى : انا أجيب على هـذا السؤال .. الميثاق نادى بالتقدمية والنظر الى الامام . ومجـلات وزارة الثقافة نادت بالرجعية وعبادة السلف ... الميثاق نـادى بمساواة المرأة بالرجل وبتحرير المراة من اغلالها ، ومجـلات وزارة الثقافة نادت بانحطاط المراة وبضرورة اعتقـالها فى الحريم ... الميثاق نادى بالاشتراكية العلميه ومجلات وزارة الثقافة نادت بالاشتراكية البورقيبية ... الميثاق مجـد

رفاعة الطهطاوى ولطفى السيد وبفلسفة الاخذ والعطاء مع الحضارات الاخرى ومجلات وزارة الثقافة مجدت اغلاق النوافذ وتحسرت على انسلاخ مصر من الامبراطورية العثمانية الميثاق دعا لتنظيم الاسرة كجزء من برنامج التنمية ومجلات وزارة الثقافة كافحت تنظيم الاسرة • الميثاق دعا لتجديد الحياة على أرض مصر بالتجربة والخطأ فى الفكر والادب والفن والعلم والاقتصاد ، ومجلات وزارة الثقافة أعلنت ان كل تجديد خروج على الدين والقومية وعلى تراث الآباء والاجداد ••• بل أكثر من هذا ••• ففى عصر الاقمار الصناعية والاوتوماسيون نشرت مجلات وزارة الثقافة ابحاثا ضافية لاثبات وجود العفاريت والبعابيع ••• كل هذا مدون بالحرف الواحد فى مجلات وزارة الثقافة •

صانع الاقنعة : انتقلوا الى الموضوع الاصلى •

المعلم العاشر : عندى تعريف للرجعية وهو تعريف اتيمولوجى وعضوى فى وقت واحد ••• الرجعية من رجع يرجع والرجوع طبعا لا يكون الا الى الوراء ••• ولم نر قط رجوعا الى الامام الا فى حالة واحدة هى بغلة البهاء زهير حيث يقول :

لك يا صديقى بغلة
ليست تساوى خردلة

تمشى فتحسبها العيـو
ن على الطريق مشكلة
وتخال مدبرة اذا
ما اقبلت مستعجلة
مقدار خطوتها الطويـ
ـلة حين تسرع انمله
تهتز وهى مكانها
فكأنما هى زلزلة ٠٠٠

او على الاصح : بلغة البهاء زهير تتقدم الى الوراء ومن يستطيع ان يتقدم الى الوراء يستطيع ايضا ان يرجع الى الامام فالرجعى اذن هو من اراد للمجتمع او لنفسه ان يرجع الى الوراء ٠٠٠ واما منشؤها فهو اعتقاد الانسان ان حياة القدماء ، حياة الآباء والاجداد ـ والاجداد قبل الآباء ـ كانت العصر الذهبى للحياة اى حين كان الرجال رجالا ، قامة كل منهم متران ٠

ومن الناس من يعتقد ان الارض سكنها العمالقة بالفعل قبل انيسكنها البشر ٠٠٠ وبالطبع فى هذه الرؤيا للعصر الذهبى محال ان يكون هناك مكان لداروين ولاماركس وعامة اصحاب التطور الساكين أو الملاعين ، لان الاحياء كانوا كاملين ثم انحطوا درجة درجة مع توالى العصور

والدهور حتى آلوا الى هذا المسخ الذى نراه اليوم ، ولم يكونوا انواعا ساذجة ثم تطورت وارتقت درجة درجة حتى خرج منها انسان اليوم ·

صانع الاقنعة : على العموم « الرسالة » و « الثقافة » اغلقتا فى أوائل صيف ١٩٦٥ ، والضرب فى الميت حرام ·

الايديولوجى الفهلوى : بعد اذنك يا سيدى الرئيس المنابر ماتت ، نعم · أما لإلإفكار فهى لا تزال ترعص · ومن وقت لآخر ينجمع اصحابها مثل جماعات الكوكلوكس كلان ويلبسون الزعابيط والطراطير البيضاء كالاشباح ، يرقصون حول النار ، ويطلقون السهام والاعيرة النارية مثل الهنود الحمر والعيار الذى لا يصيب يدوش · فيحسب الناس انهم جيش من التتر ويدخلون البيوت ويختبئون ·

ثم هناك مسألة التوثيق · فالمؤرخ سنة ٢٠٠٠ لثقافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ لن يعرف ان هذه المجلات ماتت بالسكتة القلبية ··· من قلة التوزيع ··· سيدهش حين لا يجد كلمة واحدة فى صحافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ ترد على ترهات مدرسة ابن العميد والخشداش ايواظ وعز الدين ايدمر المحيوى واغاطبو زاده ، سيظن المؤرخ من نبرتها المجلجلة انها كانت تقود الراى العام ضد الميثاق ، لابد

من سجل يعرف منــه المؤرخ ان فى السويداء رجالا ٠٠٠ نحن لــم نرفع الراية البيضاء ، والحرب لم تنته بعد ٠

ابــو الفتوح الصباح : اذا كانت هــذه هى الرجعيــة فأنــا رجعى ، ولتحيــا الرجعية ٠

الخشداش ايواظ : فلتحيــا الرجعية ٠٠٠

كوراس من عز الدين ايدمر واغا طبوزادة وابو المعالى قطــز وبازرعة بن شخبوط : فلتحيا الرجعيــة ٠

مجاهــد بن الشماخ : أنــا سبق لى ان أوضحت كــل هذا فى مجــلة « الرساله » واثبتت ان الرجعية هى حيــاة السلف الصالح وان كل سلف صالح ٠٠٠ اهتفــــوا معى : فلتحيا الرجعية ٠٠٠ فليحيا العصر الذهبى ٠

الخشداش ايواظ : فليحيا الآباء والاجداد ٠

كــوراس ايدمروطبوزادة وقطــز وشخبوط : فلتحيــا الرجعية فليحيا العصر الذهبى ، فلتحيا السلف ٠

كافور الحاوى : احذروا يا سادة ٠٠٠ هــذا كمين ٠٠٠ لا تقولوا فلتحيــا الرجعية ٠٠٠ كونوا رجعيين ولكن اهتفوا فلتسقط الرجعية ٠٠٠ وليكن هتافكم اعلى من هتــاف التقدميين هذا منطق العصر ٠٠ كونوا رجعيين عصريين ، وانــا معكم

انا مثــلا رجعى عصرى ، عندى دكتوراه من الخارج والبس جاكتة سكوتش واضع المنــديل فى كمى واشرب البيبة ٠٠٠ فلا يتصور احـد انى رجعى ٠ ولكنى مع ذلك رجعى وعنـدى ان كل الرجال عبيــدوان كل النساء اماء ، انــا طبعــا لا اجاهر بهذا لانى عصرى ولكنى أطبقه عمليــا ٠٠٠ وفى الثقافة مثلا ٠ كنت اساعد الحلفاء ايــام الحرب بتجنيد المثقفــين لمؤزارة العالم الحــر فلما اتوكسوا فى العلمين وجـــدت ان صالح الوطن وصالحى يقضيان بأن ادرس كتاب « كفاحى » وان اهتم بنيتشه وفاجنر ٠ فلما سطع نـجم حسن البنــــا وهنرى كوريبل فىوقتواحـد ارتبكت قليلا ، ولكنى وجدت الحل : دخلت الاخوان سرا وتزوجت من ماركسية علنـــــا لاهـديها الى الصراط المستقيم ٠٠٠ كل هـذا مع محافظتى دائما على صلاتى بالديوان المـلكى ثم دخلت جنــة النقطـة الرابعة ٠ وهاذا اليوم ارتع فى جنة الاشتراكية العربية كما ترون ، ومع ذلك فأنا لم اتغير ٠٠ سلطتى زادت وشهرتى زادت ومحفظتى زادت ٠٠٠ طبعــا سمعتى ساءت بـين المثقفين ولكن ماذا يهم ٠٠٠ يقولون انى انتهازى ٠٠٠ ولكنهم مغفلون لانى فى الواقع رجعى ٠٠٠ رجعى عصرى ٠٠٠ وهناك آلاف مثلى ، رجعيون عصريون ٠٠ كلهم تعلموا فى الخارج وكلهم يشربون البيبـة ويضعون المناديل فى اكمامهم ، ومع ذلك ليست لهم سمعة اطلاقا ٠٠٠ فلماذا كل هـذا الضجيج حول سمعتى؟

انـــا انتهازى ؟ فليكن ٠٠٠ ربما كنت انتهز ، ولكنى لا أنتهز لنفسى فقط وانما انتهز لمبـدئى ايضا ـ اليس هـذا ما يفعله على الزيبق الجوكى ؟ هـو يفعل الشىء ويسميه « مرحلية » لانـه جوكى ٠٠٠ لانه مولع بالسباق ٠٠٠ عنـدى أن المرحلية هى المعادل الموضوعى للانتهازية على النطاق السلوكى ٠٠٠ المعادل هـو القناع أو البرقع ٠٠٠٠ القناع للمذعورين ٠٠٠ البرقع للضعفاء ٠٠٠ وانـا قوى ، فانا بغير حاجة الى معادل ٠٠ انـا ادخل راسا فى الموضوع الكارث على المساندة ٠٠٠ وأنا قوى لانى حللت مشكلة الضمير ٠٠٠ لا اقنعه ٠٠٠ لا براقع لا ضمير ٠٠٠ لا نفـاق ٠٠٠ لهـذا انـا واضح ومفهوم أمـا على الزيبق لجوكى فغير واضح وغير مفهوم ٠٠٠ المهم ان يخـدم الانسان مبـدأه فى كل زمان ومكان وتحت اى ظروف ٠٠ وما جدوى المبـدأ بغير صاحب المبـدا ؟ لهذا كان شعارى دائما « انج بجلـدك » ٠٠٠ وافضل طريقة معروفة للنجـاة بالجلـد هى تغيير الجلـد ، وعندى ان تغيير الجلـد افضل من لبس القناع ٠٠٠ وبـلا قناع اقول انـا مبدئى الفرديـة لانى فرد ٠٠٠ انا اعرف انى انـا ولست غيرى ٠٠٠ والوجود عنـدى مكون من « انـا » فى طرف و « الآخرين » فى الطرف الآخر ٠٠ والآخرون لا وجود لهم الا من خلالى ، فوجودى هو دليل وجودهم ٠٠ انا أعرف انى فرد ولست جماعة ٠٠ وسأظل فردا حتى يثبت لى ابن سيركوف وابن موركوف انى جماعة

٠٠ ولكن ليس من الحكمة الآن أن أعلن فى كل مكان انى فرد مادام كل فرد فى مصر يصر على انه جماعة ٠٠٠ انا باختصار وصلت لحل المعادلة الصعبة وهى كيف تكون فردا وجماعة فى وقت واحد بالمعادل الموضوعى : أنا والكون طرفا المعادلة ٠٠٠ والكون هو معادلى الموضوعى على النطاق الفلسفى ٠٠٠ فى الواقع ليست هناك مشكلة حقيقية ايها السادة ٠٠٠ انا اكتشفت أولا ان التقدمية هى ان اتقدم انا فى المناصب وفى الثروة وفى السلطة وفى السلم الاجتماعى ، واكتشفت ثانيا ان كل الناس ادوات للتقدم ، وبالتالى يجب ان يكونوا ادوات لتقدمى ٠٠٠ وبهذا اصبحت المشكلة كلها عندى مشكلة لغوية ٠٠٠ انا اكتشفت ان اللغة أداة للتفاهم ٠٠٠ أداة للاقناع ٠٠٠ اكتشفت انه باللغة يمكن اثبات أى شىء وكل شىء ٠٠٠ كل الناس تحاسبنى على كلامى ٠٠٠ لم اجد احدا يحاسبنى على افكارى او اعمالى الفرق بينى وبين على الزيبق الجوكى هو انه يريد اقناع نفسه قبل اقناع الغير ٠٠٠ أما أنا فاكتفى باقناع الغير ٠٠ كل هذا بسبب الضمير وأنا تخلصت من مشكلة الضمير٠٠ أنا وضعت فى حجرة نومى لافتة بالخط الثلث بكلمات سيد درويش الخالدة : « عشان ما نعلى ونعلى ونعلى لازم نطاطى نطاطى نطاطى » ، حتى افتح عليها عينى كل صباح وتكون آخر ما أراه قبل النوم ٠٠٠ ولكن المؤسف فقط هو انى لم اصل الى شىء كثير يتناسب مع مواهبى ٠٠٠ ولكنى مع ذلك

وصلت لشيء ۰۰۰ ثم لابد من تفصيل لغة لكل مخاطب ۰ مثلا : عندما تخاطب الكلب قل له : يا سيدى ۰۰ فيفرح الكلب ويعتقد انه الانسان وانك انت الكلب ۰۰۰ مثلا ، ان كنت فى بلد تعبد العجل ، فحش ، وارم له ۰۰۰ وهذه لغة عملية موضحة بالفعل والشرح المادى الملموس ۰۰۰ العجل الآن هو الاشتراكية التقدمية ۰ حشوا أيها السادة ۰۰۰ وارموا أيها السادة ، حتى يتخم العجل ويكبس الحشيش على نفسه فينام ، وينام ، وينام من الوخم ، وعندئذ تقدموا أنتم بالسكاكين ۰۰۰ أيها الرجعيون طهروا صفوفكم من الاغبياء اهتفوا معى : فلتسقط المرأة الذهبية : فلتحيا المرأة المتحررة ۰۰۰ أيها الفرديون ! اهتفوا معى : فلتحيا الاشتراكية : تحيا وحدة الانتهازيين والمرحليين ۰

الذاتى الموضوعى : بالضبط ۰۰۰ بالضبط هذا من اوليات الوضعية المنطقية ۰

أبو الفتوح الصباح : كلا ۰۰۰ كلا ۰۰۰ فليسقط داروين ۰۰۰ فليسقط لامارك ۰

مجاهد بن الشماخ : نعم ۰۰۰ فليسقط المبشرون ۰۰۰ فليحيا السلف ۰۰۰ فليحيا العصر الذهبى ۰

صانع الاقنعة : النظام ۰۰۰ النظام ۰۰۰ فلنعد الى الموضوع ۰۰۰ استمر ۰

المعلم العاشر : نعود الى تعريف الرجعية ۰۰۰ اقول : كانت النساء نساء فى العصر الذهبى ۰ وهنا تختلف الافكار عن

نساء العصر الذهبى المنسوخ بحسب ظروف كل منا ، ولاسيما ظروفه المنزلية ··· فبعضنا يتأوه على ضياع سلطان الرجل حتى فى عقر داره ، ويندب الايام التى كان الرجل فيها يقطب فيرتجف كل من حوله من اناث وبنين ، أو يزعق فتتشـــقق جدران البيت وتتعلق انفاس الهواء فرقا ···· وبعضنا يتأوه على ضياع أنوثة الاناث ويستغرق فى احلام رشـــــيدية ، أكثرها خرج من الف ليلة وليلة ، عن نساء يجدن التعطـــر والتطيب ويلبسن سراويل الخـز والدمقس ، ويســدلن على وجوههن نقـابا أرق من نسيج العنكبوت ، وقـد جلسن على أرائك يـدندن على العـود أو يرقصن وهن يشخشخن على الصنوج وهنـاك نماذج قليلة باقية الى اليوم من هـــذه الاجناس المنقرضة يراها السياح عـادة فى كباريهات القاهرة بين منتصف الليل والواحدة صــــباحا ، ويراها المصريون كثيرا فى التلفزيون العربى وفى افلامنا القومية ، ولـــكن النفس تعافها لانهـا تـدندن للجميع وتشخشخ للجميع ، أمـا نساء الزمان الغــابر فكن يـدندن ويشخشخن كـل لرجلها فقط وهـذه مأساة عصرنا ··· هـــذه الصـورة الجميلة العاطرة لاناث الامس يقابلها بعضنا بصورة اناث اليوم المسترجلات ، منهن من يلبسن البنطلونات فعـــلا ويلعبن الالعاب الرياضية ، وحين يطلبن المرح يدبـــدبن بأرجلهن فى جنون على الباركيه فى الســـوينج والتويست والروك انـد رول ويسمين هـذه الدبدبة رقصا ! كل هـذا

يـدل على انحطاط الانسانية وافول عصرها الذهبى ، لان الرجال لم يعودوا رجـالا والنساء لم يعـدن نساء وكل شىء آيل الى فساد ٠

أبو الفتوح الصباح : ما كل هـذا الكلام الفارغ ٠٠٠ نحن لـم نأت هنـا لنسمع هـذا اللغـو عن الدندنـة والشخشخة وعن النسـاء المستهترات ٠٠٠ تكـلم فى الموضوعات الجادة ٠٠٠ تكلم عن مخافة اللـه ، عن الصـوم والصلاة ، عن عـدل الولاة ٠٠٠ عن تآخى المؤمنين ٠٠٠ تكلم عن وداعة القلوب ٠٠٠ عن سياسة الرعية ٠ عن تقـوى العباد ٠٠٠ كل هـذه امور تهم المجتمع ٠ أما هذه الاحـلام الرشيدية عن النساء فهى من مظاهر انحطاط المجتمع بعـد ان فقـد الـدين سلطانه على النفوس ايام المـدنية العباسية تكلم عن السلف الصـالح ٠

المعلم العاشر : انا أبدأ بالمراة لان المراة نصف المجتمع ٠ اعتقـد ان كل مجتمع فيه نساء بنسبة ٥٠٪ على الاقـل ، واحصاءات هيئة الامم المتحـدة تؤكـد ان عـدد النسـاء فى العـالم أكثر من عـدد الرجال ٠ انا لا أستطيع ان أتجاهل ٥٠٪ من البشر ٠٠٠ حتى السلف كان بينهم دائما ٥٠٪ من النساء ٠٠٠ انـا اعتقـد ان اى كلام عن المجتمع لا يبـدأ بالحديث عن النساء كلام فارغ ومضلل ٠ خـذ اى شريحـة فى المجتمع تجـد ان نصفها من النسـاء ٠٠٠ الطبقة الحاكمـة نصفها من النساء ٠

الذاتى الموضوعى : هـذا صحيح من الناحية المنطقية ٠ الكلام يكون أولا عن الجنس ثم عن النوع ثم عن الفصل ثـم عن الخاصة ثم عن العرض العام ، ومنهج المعلم العاشر متمش مع منهج ارسطو فى الاورجانون ٠

ابو الفتوح الصباح : اذن دعونا من الدندنة والشخشخة وذكر هـذه المذكرات ٠٠٠ الرؤيا الرشيدية لرجـال العصر الذهبى ونسائه ليست سائدة فى عقـول الكثيرين فأكثـر المتأوهين على ضياع العصر الـذهبى لا يفتقدون ضـياع الانوثة فى النساء بـل يفتقدون ضياع الرجولة فى النساء : ايـام ان كانت المرأة مبنى ومعنًى ، شكلا ومضمونا ، جـدا فى جد ، تقف صاغرة أمام وليها ولكنها تقف كالرمح السمهرى أمـام الآخـرين ٠٠٠ اذا وقفت ، كـلا ٠ أنـا آسف هـذه أيضـا ليست صورة صحيحة لنساء العصر الذهبى ، لانها صورة أمازونية يونانية عن النسـاء المحاربات ٠ وهذه لهـا ما يقابلهـا حقـا فى الادب العربى القديم حيث نجـد الزباء والخنساء وجليلة بنت مرة وزرقاء اليمامة والاميـرة ذات الهمة وشجرة الـدر يبرزن مثل جان دارك بروز الرجـال للرجال مستصرخات او مستنهضات أو مبارزات وهن ينشدن النشيد القومى الذى الفـه عمـرو بن كلثوم وضاعت منـا نوتته الموسيقية :

الا هبى بصـحنك فأصـبحينا
ولا تبقـى خمـور الاندرينـا

اذا بلغ الفطام لنـــا رضيع
تخـر لـه الجبـابر ساجـدينا
ملأنـا البـر حتى ضـاق عنـا
ونحـن البحـر نملؤه سـفينا

ولكن هـذه الصورة برغم هـذا صورة غير تقليـدية عن نساء العصر الذهبى • فنساء العصر الذهبى كن يقرن فى بيوتهن ولا يسفرن الا لـذوى الارحام من المحارم أو الغلمان ـ دون سن البلوغ ، ومن باب أولى لا يتبرجن الا لازواجهن • وهنـا تختلف الآراء فى تحـديد معنى العورة ، وفيما يجوز فيه السفور ومداه ، فمن قائل انـه كان يقتصر على الوجـه واليـدين ومن قائل ان الخمـار عـادة تركية دخيلـة على نساء العـرب ••• الخ • وايـا كان الامـر فهذه التفاصيل الشائكة كلهـا لاتهم الا المجتهدين ، وانما المهم هـو الصورة العامة والصورة العامة هى ان نساء العصر الذهبى كـن نسـاء فضليات ، ومقياس الفضيلة انهن كن يعشن لازواجهن وفى أزواجهن : يرتبن لهم طعامهم ومنامهم ويلـدن لهـم بنيهم ويسهرن على تربية هؤلاء البنين • فاذا أخـذت احداهن من العلم شيئا فهو لا يخرج عن حـدود وظيفتهـا الاولى فى الحياة وهى الاطعام والانامة وتربية الاولاد والبنات حتى التاسعة والحادية عشرة بحسب الجنس • قارنوا هـذا بنساء اليوم المارقات الابقات الناشزات اللواتى يهجرن البيوت

ويتعلمن اللغـات والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والفيزياء والكيمياء وحساب المثلثات واللوغاريتمات ويشتغلن بالطب والقانون والصيدلة والبيطرة والهندسة والتعـدين والغزل والنسيج والمحاسبة والادارة والسكرتارية والصحافة والنحت والتصوير والعزف والتمثيل والرقص الايقاعى وغير الايقاعى امـام الجمهور · حتى غزو الفضـاء دخلت فيـه فالنتينا · وهى كلهـا معارف لا تفيـد فى طعام زوج أو انامة طفل أو تربية بنين · بـل قارنوا هـذا بنساء اليوم الفاجرات اللواتى يتبرجن أمـام الخاص والعام بمستحضرات مـاكس فاكتور وهيلينا روبنشتاين وبتقاليع جاك فات وكريستيان ديـور ، ويبدين فتنهن فى السينمـا والمسرح وفى الشـارع والنـادى ، ويخرجن شبه عرايـا على البلاجات · قـارنوا وقارنوا تروا ان نساء العصر الذهبى كن مثـال الفضـيلة أمـا نساء اليوم فهن مثال الرذيلة ·

ابـو الفتوح الصباح : احسنت يـا استاذ احسنت ·

المعلم العاشر : هل كنت امينا فى وصف نسـاء العصر الـذهبى ؟

ابـو الفتوح الصباح : غاية فى الامـانة هكـذا كانت نساء السلف الصالح · ولـن تقوم لمجتمعنا قائمـة الا اذا رجعت نساؤنا الى الفضيلة الاولى ·

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : اذا كان هـذا

رايك فلماذا ارسلت بنتك الصغرى بمفردها لتدرس الهندسة فى لندن بين غير ذوى الارحام وغير المحارم وكلهم عيونهم زرق وتجاوزوا سن البلوغ ؟ الا تخشى عليها من الفتنة ؟ ثم انى رأيت السيدة المصونة زوجتك مع بنتيك الناهدتين خارجتين أول أمس من « ايرمالادوس » فى سينما قصر النيل٠

ابو الفتوح الصباح : اخرس يا ولد ٠

صانع الاقنعة : التهجم الشخصى ممنوع اعتذر له ٠

على الزيبق : متأسف ٠

صانع الاقنعة : هل الترضية تكفى ؟

ابو الفتوح الصباح : مؤقتا حتى نخرج من هنا ٠ وسأحطم وجهه ٠

الايديلوجى الفهلوى : حذار ٠ على الزيبق لا يحطم لانه كالزنبرك ، كالياى الاصلى ينكمش وينفرد بمرونة شديدة وبقوة شديدة واذا لم تلتفت لنفسك فربما انفرد بك فوجدت نفسك طائرا فى الهواء ٠

المعلم العاشر : هل انت واثق من انك وصفت نساء العصر الذهبى بامانة ؟

ابو الفتوح الصباح : بالتاكيد ٠

المعلم العاشر : وكيف تأكدت ؟

ابو الفتوح الصباح : كيف تأكدت ؟

المعلم العاشر : نعم كيف تأكدت ٠ هل رأيتهن بعينيك

ابو الفتوح الصباح : ما هـذه السخافة · طبعا لا نحن نعرف هـذا من كلام السلف من كتب القدماء ·

المعلم العاشر : هل تقبل كتب السلف كمرآة للحيـاة فى ذلك العصر ·

مجاهد بن الشماخ : وهل هناك مرآة غيرها ؟ اسألونى عن اى شىء فى ادب العرب ، من جـدى الشماخ بن ضرار فى الجاهلية الى ان غربت شـمس الاندلس آتيكم بالخبر اليقين والعصر المملوكى التركى والتركى المملوكى ايضـا اذا اردتم وكل شىء حـدث منـذ بونابرت اللعين حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ · أمـا بعـد هـذا فذاكرتى لا تعى شيئا لان الحوادث كانت اسرع من قـدرتى على التعلم ·

المعلم العاشر : اتفقنا اذن الادب مرآة الحياة · ولكن الدلائل تـدل ، بحسب ما يعرفه عشاق الادب العربى ، على أن نساء العصر الذهبى ، ولاسيما الارستقراطيات وبنـات العائلات كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم · أنظر مثـلا الى المعرى · المعرى كتب نحـو عشر قصائد فى اللزوميات يندد بتعليم البنات ، ومعنى هـذا ان العرب فى زمن المعرى كانـت عندهـم مدارس بنـات · ربما لم تكن أسماؤها بنبافـادن الثانوية للبنـات او مدرسة أم المحسنين ، ولكنهـا كانـت مدارس بنات على كل حال · ولو ان المعرى كتب قصـيدة

واحـدة ضـد تعليم المرأة لقلنـا انـه ربما اغتاظ من قريبة أو جـارة ارادت ان تتفلسف أو تتحذلق فأرسلت بنتها الى المـدرسة ، ولكن عودته الى هـذا الموضوع مرارا وتكرارا يـدل على انه كان يناهض ظاهرة اجتماعية متفشية ، كمـا كان قاسم امين أو لطفى السيد مثلا ، على العكس منه ، يكتبان مرارا وتكرارا فى ضرورة تعلم المرأة فنفهم من ذلـك عزوف المصريين وتقتئذ عن تعليم بناتهم . واذا لـم تكن هناك مدارس بنـات فلابـد انه كان هنـاك مدرسون خصوصيون يترددون على البيوت ... والارجح ان العرب عرفوا المدارس والدروس الخصوصية على السواء . المـدارس لابنـاء وبنات الناس العاديين والدروس الخصوصية لابناء وبنات الذوات . حتى الجوارى والعبيد نعرف من المعرى ان منهم من كان متعلما فهـو يحدثنا فى « رسـالة الغفران » عن الجارية توفيق السوداء التى كانت تعمل فتـاة مكتبة فى مكتبة بغـداد ايـام المـأمون تناول الكتب للقراء والنساخ ومحال ان نتصور ان الجارية توفيق كانت أميـة ومع ذلك كانت تميز بين ديوان الخطيئة وديوان ابن الزبعرى ، فلابـد انهـا تعلمت سواء فى مدرسة أو على يـد مدرس خصوصى ... صحيح ان بنات العصر الذهبى لم يشتغلن بالعلوم الرياضية والطبيعية ولكنهن اشتغلن بالتجارة والسياسـة والحرب والادب وإدارة الفنادق وكن يـدرن الصالونات الادبية تماما مثـل مـدام دى مانتنون

ومدام دى بارى ، وكن يقدن المظاهرات ، فانا لا أجد فرقا بين السيدة التى خرجت تستنهض همة المعتصم بالله بعد غزوة من غزوات الروم وتهتف : « وامعتصماه ! » وبين لطيفة الزيات حين كانت تهتف عام ١٩٤٦ بين طلاب الجامعه : « فليسقط الاستعمار ! » أو « الكفاح كفاح الشعب ! » . أنا لا اجد فرقا أبدا بين نساء العصر الذهبى ونساء اليوم . ومن رأيى ان تمنح وزارة الثقافة منح تفرغ لنقاد مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » ليدرسوا من كتب العرب أنواع الاعمال التى كانت تزاولها نساء العرب وليدرسوا نسبة التعليم بين بنات العرب بدلا من الجلوس فى ناصية الشوارع وقذف المارة بالطوب .

صانع الاقنعة : أنت استوفيت هذه النقطة فانتقل لغيرها حتى نسمع غيرك قبل ان نأخذ الاصوات على القضية المطروحة وهى : هل هناك فرق بين نساء اليوم ونساء العصر الذهبى .

الايديولوجى الفهلوى : سيدى الرئيس ، القضية المطروحة أعم من ذلك . الاصوات ينبغى ان تؤخذ على الوجه التالى : هل هناك عصر ذهبى وعصر فضى وعصر برونزى وعصر حديدى كما كان يقول ادباء أوروبا ؟

المعلم العاشر : أنا اقول ان العصر الذهبى خرافة ابتكرها خيال هسيود فى « الثيوجونيا » فى القرن التاسع

ق٠م٠ ثـم تبنتها الرجعية الاوربية لتثبت ان الامس كان خيرا من اليوم ولتجعل عيون الناس فى اقفيتهم فينظروا دائما الى الوراء ٠

وسأعود الى هـذه النقطة بعد ان أفرغ من الكلام عن نساء العرب ، الشعر العربى وحـده كاف لاثبات ان نساء العصر الذهبى كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم ٠ امرؤ القيس مثـلا قـال فى شعر سيدة من سيدات المجتمع :

غـدائره مستشزرات الى العـلا

تضـل العقاص فى مثنى ومرسل

وهذا يثبت انهـا كانت تتردد على الكوافير بانتظـام وتجرب مودة الكريباج والبوستيش والشينيون والكاتوجان والا فكيف استشزرت (اى اشرأبت) غـدائر المحبوبة الى العلا ، وكيف تاهت الامشاط بين الشعر المرسل والشـــعر المجـدول ؟ وامرؤ القيس كان دائما يتتبع مودة الشعر فهـــو القائل فى مودة ديـل الحصان :

وفرع يزين المتن اسود فاحـــم

اثيث كقنـو النخـــلة المتعثكل

اى شعر يزين الظهر كثيفاً الخ ٠٠٠ وليس من الضرورى ان يكون الكوافير سقراط أو انطوان تنتقل النساء الى دكانه فالارجح انـه كان بلانة من طراز راق يتردد أبونيـــــه على قصور أمـراء العرب او كوافيره خصوصية فى بلاط المـلوك ٠

أبـو الفتوح الصباح : ألجاهلية ليست مقياسا للعصر الذهبي لان آلجاهلية الاولى عرفت بالتبرج ، وربما بقيـت بعض تقاليـد من هـذا التبرج فى الجاهلية المتأخرة ... العصر الذهبى يبـدأ بالمـائة الاولى .

المعلم العاشر : ومتى ينتهى ؟

صانع الاقنعة: اسحب هـذا السؤال لانه سيبـــدأ الشغب ، إنظر . هنـاك من يصيح : العرب فسدوا بعـــد الخلفاء الراشدين . الشاب الظريف أبو سنة دهب لـــولى يهتف تجيـا ذكرى ابى نواس ! لا ذهب الا ذهب العباسيين ! أبو فراس المتوفى يصيح : مولاى لا تنس الاندلسيين اسحب هـذا السؤال ..

المعـلم العاشر : سحبته . سـأتكلم عن المـائة الاولى فقط فالـكل متفق عليها لانها كانت عصر الفتوحات العظيمة أنا أقول ان نساء العصر الذهبى فى المـائة الاولى كن يعرفن مودة مارى انطوانيت فى تصفيف الشعر ، بدليل قول عمر بن ابى ربيعة :

ولهـا اثبت كالكـروم مـذيل
حسن الغـدائر خالك مضـــفور

وانهن كن يعرفن الشنيون بدليل قوله :

سبته بوحف فى العقاص موجل
اثيث كقبـو النخلـة المتكـور

وانهن كن يعرفن المانكير بدليل قوله :

ومخضب رخص البنان كأنه

علم ومنتفخ النطاق وثير

فاستعمال الاكلادور اذن لم ينتشر فى عصور الانحطاط كما كانوا يعلموننا فى المدارس مستشهدين بقول القائل :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت

وردا وعضت على العناب بالبرد

اى عضت بأسنانها على اظافرها المدهونة ، وانما كان شائعا فى المائة الاولى ٠

قال صانع الاقنعة : من اراد مزيدا من التوثيق فليرجع الى صبح الاعشى والى الاغانى ٠ لقد تجاوزنا الوقت المقرر لاستعمال المانيكير والباديكير عند العرب ٠

رفعت الجلسة ٠

× المحاورة الثانية ×

فى المرأة الذهبية وسلوكها الذهبى

صانع الاقنعة : المعلم العاشر أوضح فى الجلسة السابقة ان عنيزة صاحبة امرؤ القيس وعائشة بنت طلحة صاحبة عمر بن أبى ربيعة كانتا تترددان على الكوافير وتستعملان المانيكير ، وأثبت من كلام المعرى ان العرب كانت عندهم مدارس بنات · هل بينكم من ينكر هذا ؟

أبو الفتوح الصباح : حتى اذا كان هذا صحيحا فلابد ان الحلاقات ـ استغفر الله ـ كن من النساء والمؤدبات كذلك ، وان تعليم البنات كان يقف عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين ·

المعلم العاشر : ولكن تعليم البنين فى العصر الذهبى كان يقف ايضا عند فك الخط وجدول الضرب واصول الدين · نحن لم نسمع عن كليات حقوق وهندسة وصيدلة وطب بيطرى ومعاهد تكنولوجيا فى العصر الذهبى ، لان الحرف

والصناعات كانت تتوارث فى الاسرة وفى الورش يلقنهـــا المعلمون للصبيان ، تماما كما كان يحـدث فى أوروبـــا فى العصور الوسطى ٠

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ابو الفتــوح الصباح يقتــرح اذن أن يصـدر مجـلس االامـة تشريعين : قانون يحرم على الرجال الاشتغال بمهنة كوافير الســيدات وقانون بالغـاء الكليات النظرية والعملية والمعاهـد العليـا والمدارس الثانوية والاعدادية حتى نرجع الى العصر الذهبى ٠ يجب الاكتفاء بالتعليم الابتدائى ٠

مجاهد بن الشماخ : الوالى وليس مجلس الامـــة ٠ فالعصر الذهبى لم تكن فيه مجالس أمـة ولا هـذه السخافات المستوردة التى تسمونها برلمـانات ٠

صـانع الاقنعـة : نقطـة نظـام ٠ هـذا خـروج عن الموضوع ٠ موضوع نظام الحكم يبحث فى جلسة قادمـة ٠

ابـو الفتوح الصباح : قانون الكوافيرات نعم ٠ أمـا الغـاء الجامعات وكل مراحل التعليم فوق الابتدائى ٠ فهـذا شطط واساءة فهم لمعنى الرجعية ٠ العلم نـــور ٠ وكل مزيد من التعليم نور على نور فى قلب الانسان لا فى عقله ٠ واذا كان ذهب العصر الذهبى من عيار ١٤ فمن الانفع أن نجعلـه عيار ٢٤ ٠ وانما المهم ان يملا العلم قلب الانسان بالايمـــان والفضيلة والا تذهب البنات الى المـدارس الا فى الزى الرسمى

لنساء العصر الذهبى . وقد نسى الميثاق ان ينص على هذا ولابد من استكمال هذا النقص . والزى الرسمى لنساء هذا العصر الذهبى هو الفستان المقفل عند الرقبة والمتدلى حتى الكعبين والاكمام الطويلة حتى الرسغين ، أما الوجه فيمكن ان يسفر أثناء المحاضرات وفى أوقات العمل الرسمية ولكن لابد من طرحة على الراس تخفى أولا عورة الشعر ويمكن ثانيا اسدالها ورفعها بحسب الظروف . اسدالها فى الشارع مثلا ، وفى السينما أو المسرح وقت الانتراكت واضاءة الانوار . ويمكن لتسهيل هذه العملية التحكم فى الطرحة بكردون وبكر يثبت فى الخصر على طريقة الستائر . ثم لابد من قانون بتخصيص بلاجات خاصة بالنساء وبلاجات خاصة بالرجال . رحم الله الشيخ ابو العيون .

العلم العاشر : هذه صورة غير دقيقة عن نساء العصر الذهبى فمن الشعر العربى نعرف ان نساء العصر الذهبى كن يتبخترن عرايا على البلاجات واحيانا فى غير البلاجات . خذ مثلا « المتجردة » زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان النابغة الذبيانى يتجول فى ابهاء قصرها فرآها تتجرد .. اعتقد انها كانت تتجرد « داخل » الحمام ، وان النابغة كان ينظر اليها من ثقب الباب ، لان الوصف يوحى بأنها كانت تحس بوجود متفرج ، وقال النابغة الذبيانى فيها :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه

فتناولته واتقتنا باليد

والنصيف ليس بالضبط البيكيني ، ولكنه ازار أو فوطة أو ربما بشكير ، وعلى أيـة حال فسقوطه كشف عن كل شيء ولهـذا « اتقتنا باليـد » • شعر القـدماء يثبت أن نسـاء العصر الذهبى كن كنساء اليوم يتبخترن عرايا على بلاجات البصرة والحجاز • فمعلقة امـرىء القيس تشير الى مغـامرة كانت للملك الضليل على بـلاج جلجل ، وهـو شاطىء بركة بجـوار البصرة فيما يقـال ، فهو يقـول :

الا رب يـوم لـك منهن صالح

ولا سيما يـوم بـدارة جلجـل

وتفسيرها فى كتب العرب ان امرأ القيس لعـب نفس اللعبـة التى لعبهـا من قبله الاله كريشنا فى ادب الهنود ، ففاجأ البناتوهن يغتسلن فى بـلاج جلجل واخـذ ثيابهن وقعـد عليها ، وابى ان يعطى كلا ثوبهـا حتى تخرج اليـه عارية وتأخـذه منه بنفسها ولو ظلت فى الغـدير الى الليل • وغلبهن الحيـاء أولا فمكثن فى المـاء حتى ارتفع النهـار ، ولكنهن خفن أخيرا من الالتهاب الرئوى أو الانفلوانزا الحادة على اقـل تقـدير فرضخن وخرجن الواحـدة بعـد الاخرى • وكانت اشدهن حيـاء حبيبته عنيزة ،ولكنها فى النهـاية رضخت مع الراضخات • واحسسن بالجوع فذبح لهن ناقته فأكلوا وشربوا فياسكة من أفخر النبيذ، وطربوا وغنوا ثـم حملته عنيزة معها داخل هودجها بعـد ان فقـد ناقته ، وبعـد

الاقداح كانت القبلات • ولـم يكن هنـاك على بـلاج جلجل بوليس آداب ليمنع كل هـذا • فانظر كيف تقـدمت آداب المحـدثين على أداب القـدماء •

أبـو الفتوح الصباح : النعمان بن المنذر وامرؤ القيس عاشا فى الجاهلية • هـذا لا يقاس عليه •

المعلم العاشر : نفس هـذا المشهـد تكرر بعـد سنوات حين نزلت البنات بلاج الغيل فى الحجاز فأخفى الشاعر ثيابهن واذا قلت ان النعمان بن المنـذر وامرأ القيس كانا فى الجاهلية فما قولك فى حكايات عمر بن ابى ربيعة وغيره مع نســاء العصر الذهبى فى المـائة الاولى ، أو على الاقـل قبل ان تسوء سمعة المجتمع العربى بما قاله ابو نواس وما فعله هـو وجيله السيء السمعة • والغيل بركة أو بحيرة او نبع قرب مكـة • أو لعله غـابة تجرى فيها جـداول الميـاه كما ورد فى «اللسان» وليس من الضرورى أن يكون اسم البلاج مضحكا مثــل جلجل أو غريبا مثـل الانفوشى او صعبا مثل جليمونوبـولو أو أعجميا مثل الريفييرا لنسميه بلاجا • انظر مثلا الى بلاج جمصة الـذى كنـا فيه • من رآه ظن انـه فى فلوريـدا أو كاليفورنيا ومع ذلك فاسمه جمصة ومحافظة الدقهلية لا تخجل من ذلك ومن اقام فيه نسى ان مصر تجرى فيهـا تجربـة اشـتراكية •

صانع الاقنعـة : انت تستطرد ، عـد الى الموضـوع الاصـلى •

المعلم العاشر : الموضوع الاصلى ؟ عمر بن أبى ربيعة كانت هوايته الخاصة التسكع فى مواقع الغيد على البلاجات ، وآداب المحدثين ليست احط من آداب القدماء ، انظر الى الدالية :

ولقد قالت لجارات لهـا
وتعرت ذات يوم تبترد :
اكمـا ينعتننى تبصرننى !
عمركن اللـه أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لهـا :
حسن فى كل عين من تـود
حسدا حملنـه من أجلهـا
وقديما كان فى الناس الحسد

فعمر بى ابى ربيعة لم يكن فقط يتلمظ بمرأى البنات على البلاج من بعيد ، ولكنه كان على بعد مترين ، والا فكيف استطاع ان يسمع كل هذا الحوار ؟ ثم ان التقبيل نفسه فى العصر الذهبى كان على احدث طريقة سينمائية نستهجنها فى غرام العصر الحديث ، وتقصها الرقابة من أفلام م٠م و ب٠ب واعتقد انها قصتها مؤخرا من « الدولشى فيتا » ومن « هيروشيما يا حبى » ، وهى أن يمسك الفتى بالبنت من شعرها ويقبلها ، ففى شعر عمر بن أبى ربيعة انها :

قالت : وعيش ابى وحرمة اخوتى
لا نبهن الحى ان لـم تخـرج

فخرجت خوف يمينها فتبسمت

فعلمت أن يمينها لم تحرج

فلثمت فاها آخذا بقرونها

شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

والقرون بلا مؤاخذة هى الشعر والحشرج اسم نبع · ولو ان عمر بن أبى ربيعة كان وحده فى هذا المضمار لقلنا انها حالة فردية لا يجوز لنا أن نستخلص منها صورة رجال العصر الذهبى ونسائه · ولكن أمثاله كانوا كثيرين · مثلا عبد الله بن قيس الرقيات وهو أيضا من قريش كان يعشقهن ثلاثا ثلاثا ، وقد سمى بالرقيات لانه احب ثلاث بنات كل منهن باسم رقية ، وجميل بن معمر ، وقد كان من الشباب الارستقراطى فى بنى عذرة ، قال صراحة انه يفضل غزو القلوب على غزو الامصار :

يقولون جاهد يا جميل بغزوة

وأى جهاد بعدهن اريد ؟

لكل حديث بينهن بشاشة

وكل قتيل بينهن شهيد

ونحن عادة لا نفكر طويلا فى الطريقة التى تسلق بها روميو من حديقة آل كابيوليت الى مخدع حبيبته جولييت ليقضى معها الليل · ولا اظن انه تسلق على المواسير ، والارجح انه استعمل سلما مجدولا من الحبال الحريرية · تقولون : ولماذا الحريريه ؟ اقول لتنسجم مع الجو العاطر

فى حـديقة الورد ومع الليـل الساجى والنسيم الهفهـــاف وصـدح العنادل فى الليـل والقبرة مع أول انفاس الفجر ٠ والفرزدق مـر بتجربة مشابهة فى البصرة فيمـا اعتقد كمـا يستفاد من وصفه :

هـا دلتـانى من ثمـانين قامـة
كمـا انقض بازاقتم الريش كاسر
فقلت ارفعـا الامراس لا يشعروا بنـا
وافلت فى اعجـاز ليــل أبــادر

الارجح ان « هما » تعـود على سيدة الفؤاد وجاريتها ولا تعـود على سيدتين تربعتا على فؤاد الفرزدق أو استقبلتاه فى سرير واحـد ٠ اقول هـذا على الاقـل احتراما للفرزدق وصاحبته ٠ وهـــو موقف يذكرنا بماكان يفعله اللورد بيرون مع الكونتيسة جيتشيولى ويبـدو ان الفرزدق كان متمرنـا على الصعود والهبوط بالامراس (أى الحبال) ، لان هبوطـه السريع كانقضاض البـاز الكاسر يثبت انـه كان يعـــرف موضع قبضته من الحبل كالبهلوان ولكنى لا اشك فى ان خيال الفرزدق كان خصـبا الى حـد المغالاة ، بل واتهمه بالفشر على الاقـل فى وصف التفاصيل ٠ فهـو يقول انه تـدلى من ثمانين قامة ، وثمانون قامة معناها ١٤٠ مترا ، اى ان شقة المحبوبة التى قضى معها الليـل كانت فى الدور الثلاثين ، ولا اعتقـد أن البصرة عرفت ناطحات السحاب فى المـائة الاولى لان الاسمنت المسلح والاسانسيرات لم تكتشف الا فى القرن التاسع عشر ٠ ثم انـه لا شك يفشر حين يقول : فقلت ارفعا

الحبال حتى لا يشعروا بنا وانه افلت فى اعجاز الليل يبادره قبل ان يدركهم نور الفجر فيفتضح امرهم • فلو انه قال من هذا شيئا يمكن أن يسمع على ارتفاع ١٤٠ مترا لأيقظ العمارة كلها ، بل والحى كله على الفور وطارده العسس واهل الحبيبة قبل ان يتاح للمراتين المسكينتين ان ترفعا الامراس •

وغير عمر بن أبى ربيعة وجميل بن معمر وعبد الله ابن قيس الرقيات والفرزدق هناك الشاب الجميل وضاح اليمن ، وهو من أبناء ملوك اليمن ، والعرجى ، وهو من ارستقراطية قريش ، وعدد لا يحصى من شعراء العصر الذهبى يثبتون بشعرهم ان نساء العرب فى العصر الذهبى لم يكن يختلفن كثيرا عن نساء اليوم على الاقل فى الفضيلة او فى نقص الفضيلة •

مجاهد بن الشماخ : سيدى الرئيس ، هذا تخريب لتراثنا •

أبو الفتوح الصباح : كل هذه حالا فردية لا يقاس عليها والشعراء يتبعهم الغاوون •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ولكنكم تدرسون هؤلاء الشعراء فى المدارس والجامعات ، هل تقترح سن قانون بالغاء تدريس الادب العربى من المدارس والجامعات ؟

مجاهد بن الشماخ : مستحيل ، نحن أفنينا حياتنا فى

تحقيق هـذا التراث ونشره ٠ .نحن نطالب وزارة الثقافة بأن تخصص كل ميزانيتها لنشر التراث العربى ٠

الايـديولوجى الفهلوى : ومـا اعتراضك اذن ؟ هـل تطالب بنشره بشرط الا يقرأه الناس ؟

ابـو الفتوح المصباح : هؤلاء الشعراء لا يعطون صورة صادقة عن حياة العرب فى العصر الذهبى ٠ النساء الفاجرات يعشن فى كل عصر من العصور ٠

المعلم العاشر : لا تغضب ٠ ان شعراء العصر الـذهبى لـم يكونوا يترددون على النساء الفاسدات أو على البغايا بل كانوا يترددون على سيدات الاسر وبنـات العائلات ٠ والا فما معنى كل هـذا الاختلاس والتسلق والدخـول من الشبابيك تحت جنح الظلام ؟ وقـد عرف عمر بن ابى ربيعة وحـده منهن عـددا وفيرا وعينهن بالاسم ، مثل عائشة بنت طلحة ونعم والرباب وعنـد وعفراء والثريا والنوار واسماء وليـلى ولبابة ورملة وكلثم وفاطمة بنت محمد الاشعث الكنـدية وغيرهن ، وعناوينهن كلهـا مذكـورة ومحققـة بالكـامل فى « الاغانى » ج ١ طبعة دار الكتب وفى ديوان عمر بن ابى ربيعة تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومنهـا يتبين أنهن جميعـا من اسر محترمة مع الاحترام التام لهـذه الاسر ، فالمثل يقول « يخلق من ظهر العالم فاسد » ٠ كذلك كان رجال العصر الذهبى يدلعون ، اقصد يدللون ، نساء العصر الذهبى كما نفعل نحن اليوم بنسائنا فنقول سوسو وشوشو ٠ كانوا

يقولون « سكن » لسكينة و « بثن » لبثينة و « عـز » لعزة : مثلا : « وحبك يا سكن الذى يحسم الصبرا » فى عمـــر بن ابى ربيعة و « كما شغف المجنون يا بثن بالخمر » فى جميل ابن معمر « ومن ذآ الذى ياعز لا يتغير » فى كثير عزه ، وكانوا يضربون المواعيـد كما نضربها اليوم فى الاورمان او فى جنينة الحيوانات أو فى كازينو الشجرة أو فى استيريو الهرم · مثلا رسول عمر بن ابى ربيعة :

فأتاها فقــال : ميعادك السر

ح اذا الليـل اسدل الاســـتارا

ونساؤنا الآن يستعملن الشـانيل والكارنن ماجـريف والاربيج والاوبيجان والشيفالييه دورسيه بمنتهى الحرص والاقتصاد ويكتفين بنقطة أو نقطتين فى الشعر أو تحت الاذن واحيانا فى المـلابس الداخلية · ولكن قارىء معلقة امـرىء القيس يعرف ان نساء الزمان الغابر كن يدلقن العطور دلقـا على الفراش ·

ويضـحى فتيت المسـك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وعلى الثيــاب :

اذا قامتــا تضوع المسك منهما

نسيم الصـبا جـاءت بريا القرنفل

وكانت تحدث بينهم المطاردات الغرامية · انظروا الى هـذه المطاردة التى قام بهـا عمر بن ابى ربيعة وصاحبه بكر على ظهـور الابل وتذكروا مـا يفعله شباب هـذه الايـــام

على الاقدام بين أمريكين عماد الدين وامريكين سليمان باشا او فى سيارات نصر وهى تطارد سيارات تاونوس عنـد برج القاهـرة او فى سكة الهـرم :

شـكوت الى بـكر وقـد حال دونها
منيف متى ينصب لـه الطرف يحسر
فقلت : أئمر • قال : ائتمر ، أنت مؤيس
ولـم يكبروا فوقـا ، فمـا شئت فأمر
فقلت : انطـلق نتبعهم ، ان نظـرة
اليهم شـفاء للفـؤاد المضـمر
فلمـا اضـاء الفجر عنـا بـدا لنـا
ذرا النخل والقصر الذى دون عزور
فقلت اقترب من سربهم نلق غفلة
من الركب والبس لبسه المتنكر
فقالت لاتـراب لها : ابرزن اننى
اظن ابـا الخطاب منـا بمحضر
لـه أختلجت عينى اظن عشـية
واقبـل ظبى سـانح كالمبشر
فقلن لهـا : لا بـلّ تمنيت منية
خلوت بهـا عنـد الهوى والتذكر
فقالت لهن : أمشـين ، أمـا نلاقه
كما قلت او نشف النفوس فنعفر
وجئت انسياب الايم فى الغيل اتقى الـ
عيـون واخفى الـوطء للمتغفـر

فلمـا التقينـا رحبت وتبسـمت

تبسـم مسرور ، ومن يرض يسرر

فيـا طيب لهـو ما هناك لهوتـه

بمستمع منهـا ويـا حسن منظر

فمن كان بطيئا فى فهم الشعر فمعنى هـذا الكـــلام باختصار أن عمـر بن ابى ربيعة وصاحبه بكرا : ابصرا ركب المحبوبة وصاحباتها فتبعاه حتى ادركاه ، ورغب أن ينفرد بهـا ورغبت ان تنفرد به ، فانسلخت من الركب وتحقـــق الرنـــديفو ٠

وفى الرائية المشهورة : « أمن آل نعم انت غاد فمبكر» « وهو يشبه قولنا » : « أتذهب مبكرا الى بيت البنت نعمت اونعمات أو نعيمة » يروى لنـا عمر بن ابى ربيعة كيف انه فعـل ما فعله دون جوان فى جناح الحريم بسراى السلطان فى استنبول ٠ اى تنكر فى زى فتـاة لكى يندس بينهن ، كـما ورد فى ملحمة اللورد بيرون ، ودخـل فى مازق ثم خرج منه ٠ ولا اعتقد ان شاعرا فى ايـة لغة بلغ هـذه الـدقة فى وصف حـديث العشاق المعاميد الـذى اختلطت فيـه الدماثة بالشبق وهما عـادة من صفات نساء الارستقراطية :

فحييت اذ فاجأتهـا فتولهـت

وكـادت بمخفوض التحية تجهـر

وقالت وعضـت بالبنـان : فضحتنى

وانت امرؤ ميسور امرك اعسر

أريتـك اذ هنـا عليـك الم تخف
وقيت وحـولى من عـدوك حضر ؟
فـو اللـه ما ادرى : اتعجيل حاجة
سرت بك أم قد نام من كنت تحذر ؟
فقلت لها : بل قادنى الشوق والهوى
اليك وما نفس من الناس تشـعر
فقالت وقـد لانث وافرخ روعهـا
كـلاك بحفـظ ربـك المتكبـر
فانت ابـا الخطـاب غير مـدافع
عـلى اميـر مـا مكثت مـؤمر
فنت قرير العـين اعطيت حـاجتى
اقبـل فاها فى الخـلاء فاكثـر
فيالـك من ليـل تقـاصر طـوله
وما كان ليـلى قبل ذلـك يقصر

وهكذا قضى عمر بن ابى ربيعة ليلة ناعمة ، ولكن مـا أن أوشك الليل ان ينقضى حتى وقعت الواقعة فدبت الحركة فى الحى وتأهب القوم للرحيل : « فلا راعنى الا منـاد : ترحلوا وقـد لاح معروف من الصبح اشقر » ، ولم تصـب البنت بالـذعر بـل قالت لصاحبها : الان وقـد تنبه النـاس ، « أشر كيف تأمر ؟ » لنخرج من هذه الورطة . فعرض عليها ان « يباديهم » أى ينقض عليهم بسيفه ، ولكنها رفضـت قائلة : لا . هـذا يثبت ما يشاع عنـا ، فلنفكر فى حـل يسترنا لا فى حل يفضحنا ، وهكـذا كانت المراة كالعادة اذكى

من الرجل · ولكنى يبـدو ان الخطر اقترب منهـا فقـد شحب وجههـا ، ومضت الى اختيهـا ، أو لعلهمـا مجرد صاحبتين تستنجـد بهما :

فقامت اليهـا حرتـان عليهمـا
كساءان من خـز دمقس واخضر
فقالت لاختيها : اعينـا على فتى
أتى زائرا ، والامر للامر يقـدر
فأقبلتا ، فارتاعتـا ، ثم قالتـا :
اقلى عليك اللـوم فالخطب ايسر
فقالت لهـا الصـغرى ، سأعطيه مطرفى
ودرعى وهـذا البرد ان كان يحـذر
يقـوم فيمشى بيننـا متنكـرا
فـلا سرنـا يفشو ولا هـو يظهـر
فكـان مجنى دون من كنـت اتقـى
ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

الا ترون معى ان التنكر فى زى النساء يـدل على ان عشاق العصر الذهبى كانوا اكثر جراءة واوسع حيلـة من عشاق اليوم · اكاد اقطع بان اى عاشق من عشاق اليـوم لـو ووجـه بهـذا الموقف لضربت معـه لخمة ولمـا عـرف كيف ينصرف ·

الفارس المفروس : اسمحوا لى يـا سادة · كل هـذا طبيعى ، انتم تنسـون ان فن التصوير وفن النحت اندثرا بين العرب بانتهاء الجاهلية الوثنية · فطبيعى ان يقوم الشاعر

مقام الفنـــان التشكيلى فيرسم « بورتريهات » لسيـــدات العصر الذهبى بالقلم والكلمة بـدلا من الرسم بالفرشـــة والالوان ٠ وهـذا يفسر انتشار شعر الغزل فى العصر الذهبى وفى « الاغانى » ج ٦ ص ٢١٩ أن أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان وزوج الوليـد بن عبد المـلك ارسلت الى كثير عزة والى وضاح اليمن تقول : « انسبا بى » ٠ والنســـيب أو التشبيب نـوع من الغـزل ٠ فلنقـل انـه وصـــف محاسن المرأة ، وان ام البنين لم تكن تطلب من الشـــعراء ان يتغزلوا فيهـا حقـا ، وانما أرادت منهم ان يصـــفوا محاسنها ، اى ان يرسموا لهـا بورتريه أو ينحتوا لهـــا تمثالا بالكـلام على غرار مـا يفعل الفنانون ٠ وقـد خـاف كثير من صولة ابيهـا فلم يصفها بـل وصف جاريتها ، أمـا وضاح اليمن فقد شبب بهـا فنـال عقابه ٠ تربص به رجـال الوليـد وقتلوه بدفنه حيـا ٠

المعلم العاشر : ربما كان هـذا صحيحا ، ولكنــه لا يفسر المواعيـد الغرامية فى السرح والغيل ولا المطـــاردات ولا التنكرات والتسلق بالحبال لولـوج المخادع ولا المشاورت الطريفة بين البنات والبنات وبين الرجال والرجال فى افضل الطرق لدخول دنيـا الحب والخروج منها ٠ ان دراستنا للادب العربى تقف دائما عنـد زخرف الالفاظ ولا تتوغل فى المعانى الا نادرا ولا تحاول ان تربط بينه وبين الحياة التى انتجتـه وهـذا هـو سبب كراهية تلاميذنا لدراسة الادب العـربى شعرا ونثرا رغم الجهود الجبارة التى نبذلها لنشره على ابنائنا

فى المدارس . أنا مثلا أعتقد ان الادب العربى متخلف جداعن الادب اليونانى ، ولكنى اعتقد انه لا يقل شموخا عن الادب اللاتينى بما فى ذلك فرجيل وهوراس وأوفيد .
ولكننا حنطناه لاعتقادنا أن التراث لا يكون تراثا اذا عاش معنا وعايشناه ... ان التلميذ المصرى مثلا لا يعرف ان ابناء المائة الاولى كانوا مثلنا اناسا يحبون ويعشقون ويتألمون ويفرحون ويقتتلون ويزنون ويدسون ويتآمرون ويغدرون ويخلصون وانهم كانوا مثلنا يحبون الجسد ويتجهمون ويحبون الحظ ويفرفشون ، وانه لمع بينهم اقطاب الغناء مثل ابن سريج والغريض ومعبد ، وكلهم من فنانى الحجاز تألقوا فى المدينة المنورة تألق محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وفريد الاطرش فى القاهرة الان . قالوا وكان رابع هؤلاء العباقرة حنين الحيرى فى العراق ، فكتب ثلاثتهم اليه خطابا يدعونه فيه لزيارة المدينة . قالوا : نحن ثلاثة بالحجاز وانت وحدك بالعراق ، فانت اولى بزيارتنا . والمهم فى هذا ما جاء فى « الاغانى » من وصف الهستيريا التى استولت على اهل المدينة عندما علموا باقتراب موكب الموسيقار حنين هذا ، وهى تشبه الهستيريا التى تستولى على اهل لندن أو باريس أو نيويورك فيتجمعون بالآلاف فى المطارات حاملين الكورونات وكارنيهات الاتوجراف والكاميرات كلما نزل الخنافس أو جونى هاليداى أو الفيس بريسلى ، فيتشنج الرجال ويغمى على النساء . قالوا : فشخص اليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره

فخرجوا يتلقونه ، فلم يـر يوم أكثر حشرا ولا جمعـا من يومئـذ • هـذه صورة من صور الحياة اليوميـة فى العصر الذهبى تـدل على أن رجـاله ونساءه كانت لهم قلوب مثـل قلوبنا • فلم كل هـذه الجهامة التى ترتسم على وجـه أبـو الفتوح الصباح وصاحبه مجاهـد بن الشماخ • ليس صحيحا ما قاله أبو الفتوح الصباح من أن نساء العصر الذهبى كـن مثال الفضيلة وان نساء عصرنا مثال الرذيلة • هـل اقتنعت يـا سيدى ؟

مجاهـد بن الشماخ : كلا • كلامك غير مقنع ، بـل هـو اشبه بسمادير المخمورين • وانـا لا افهم كيف يـؤذن لـدعى جاهل مغموز ملبوز شرلتان مثلك ان يتكلم فى تاريـخ العرب وادبهم وانت الـذى دربك المبشرون والمستشرقـون عملاء الاستعمار الصليبى لافساد حضارة العرب وعقيـدة العرب •

صانع الاقنعة : محال ان اسمح بهـذا السباب • انـه خروج على الميثـاق ، ان كانت لديك وجهـة نظر فاشرحهـا ولكن حـذار من التطاول والا اخرجتك من الجلسة • أرى من حالتك النفسية انك اذا بـدأت الكلام فـلن تتوقف ، والوقت ازف • فالى اللقـاء فى الجلسة القادمة •

رفعت الجلسة •••

× **المحاورة الثالثة** ×

فى المـــرآة

قال صانع الاقنعة : انت يا مجاهد بن الشماخ طلبت الكلمة وستكون اول المتكلمين فى جلسة اليوم · ولكن تذكر ما وعدتك به فى الجلسة السابقة اذا لجأت الى السباب·

مجاهد بن الشماخ : انا لم الجأ الى السباب وانما كنت أمارس حقى فى الهجاء والهجاء فن معترف به من فنون الشعر العربى ، وله تقاليد راسخة فى بلاغة العرب ، بل اكاد اقول انه يمثل ربع تراثنا من الشعر العربى · فاذا كان ربعه للنسيب وربعه للفخر وربعه للمدح فربعه الرابع للهجاء ، اما شعر الرثاء فمجرد متفرقات هنا وهناك لا يعتد بها ، واما وصف الطبيعة والحكم والتأملات وغيرها فقد جرت تقاليد العرب أن تكون « من الباطن » اى يحشى بها بطن القصيد حشو الفريك داخل الحمام وهى لا تطلب لذاتها ، فهى ليست فنونا ادبية معتمدة عند العرب · ولم يشذ عن هذه القاعدة الا العتاهى والمعرى

وشعراء الصوفية • فالعرب اذن قد جعلت من السباب فنا جميلا وسمته الهجاء ••• كما جعلت من الملق فنا جميلا سمته المدح • فاذا كنت قد قلت للمعلم العاشر انه دعى وجاهل وشرلتان وان كلامه صديد فى صديد أو من سمادير المخمورين أو انه صبى المبشرين وعميل المستعمرين ، فهذه كلها صور فنية غاية فى الذكاء ، ومعان مبتكرة لم يسبقنى اليها احد من القدماء، وانتم تعرفون ان ابن قدامة وابن سلام والجرجانى وابن قتيبة والآمدى وابا هلال العسكرى وابن طباطبا كانوا لايغتفرون لشاعر أو ناثر انه كرر معانى غيره أو الفاظه ويسمون هذا سرقة ادبية • وقد حافظنا نحن سدنة التراث العربى على تقاليد الهجاء حتى لا ينقرض هذا الفن الجميل • فمصطفى صادق الرافعى مثلا كان يسمى عباس العقاد « العقاد اللص » و « الشاعر المراحيضى » وكان يضعه على السفود وهو خازوق أو سيخ لشى الكباب وناظر مدرسة ابن العميد الجالس هناك كان يقول ان خولة المايسطرية تمسك بقلم الشيخ الغليظ ويقصد بالغليظ القلم لا الشيخ ، وهو زوجها ، وقد نشر هذا على نفقة الدولة فى مجلات وزارة الثقافة ، لانه ظريف وجميل ولانه يحافظ على تراث البلاغة العربية وفى وزارة الثقافة ادارة لاحياء التراث العربى ، فهو يطبع على ميزانية احياء التراث وقد أوشك هذا الفن ان ينقرض منذ ان ظهر المعلم التاسع قاتله الله أو على الاصح منذ ان عاد هو ومدرسته من أوروبة ، فأخذ يهجو خصومه فى الراى بعبارات

مثـل قوله : « فليسمح لى سيدى ان اختلف معـه فى بعض مـا ذهب اليـه ، وانا زعيم بأن اختلاف الراى لا يفســـد للود قضية » او مثل قوله : « ومهما يكن من شيء فانى أوشك ان اختلف مع سيدى فى بعض مـا ذهب اليـه » وغير ذلك من التراكيب الاعجمية المستوردة من الخارج ، وهى تراكيب دسهـا علينا المبشرون الصليبيون والمستشرقون للقضـاء على البلاغـة العربية وابادة الهجاء العربى ٠٠٠ وهـل هناك أجمـل من قـول الخطيئة :

فغض الطرف انـــك من نميـر

فـلا كعبـا بلغت ولا كـــلابا

انظر الى التورية فى كلمتى « كعب » و « كلاب » فهما اخس ما فى الانسان واخس ما فى الحيوان وهما فى الوقــت نفسه اسما قبيلتين من قبائل العرب ، وهل هنـاك اقـوى من قـول المتنبى فى سلطان من سلاطين مصر ٠٠

لا تشتر العبد الا والعصـا معـه

ان العبيـد لأنجـاس مناكيـــد

انه قول صالح لكل زمان ومكان ، ولو ان لومومبا قاله لتشومبى لما آل الى هـذه الكارثة الحزينة ٠ اقـول لـولا مجلات وزارة الثقافة لانـدثر هـذا الفن الجميل ، والحمـد للـه الـذى كشف الغمة وبعث مجـد الآبـاء والاجـداد ، وجـدد العصر الذهبى للهجـاء ، فانا الان استطيع كلمـــا خـوى وفاضى ان اقتحـم على اى كبير من كبـار القـوم مكتبـه قائلا :

فجـد لى يـا ابن ناقصة بمال

فانى قـد عزمـت على المســـير

فيخاف باسى ويوقع لى على ما شئت من صكوك ، هذه التى تسمونها شيكات : أو اذونات صرف ، فان أبى أن يوقع اردفت هـذا بقولى :

قـوم اذا استنبح الاضياف كلبهـم

قـالوا لأمهـم بـولى على النـــار

فيكون لقولى وقع السحر فى نفسه لانـه يـدرك انى قـد بـدأت الهجاء بالام والاب ... نعم ان فن الهجاء ذن ارفع من فن المـدح لان المـال او المجـد ان جـاء عن طريق الملق كان استجـداء، اما ان جـاء عن طريق الارهاب فهـو بأس وسؤدد . وانـا لا اطالب الا بحقى فى أن اجرب بلاغة العرب فى هـذا المعلم العاشر الصعلوك ، هـو وقبيلته وتومه بعـد ان اجرده من كافة القابة العلمية التى حصل عليهـــا بوسائل مريبة من جامعات المبشرين.

صانع الاقنعة : انـا نبهتك اكثر من مرة ان هـــذا مناف للميثاق ، ادخل فى الموضوع أو دع غيرك يتكلم .

مجاهـد بن الشماخ : لا بأس . لقـد صور هـذا الرجل

صانع الاقنعة : اسمه المعلم العاشر .

مجاهـد بن الشماخ : انـا لا اعترف بهـذا اللقب .

صانع الاقنعة : هل تعترض على لقبك ايضا ؟

مجاهـد بن الشماخ : كـلا ، فهو يناسبنى تماما ٠ وهو ليس قناعا بـل حقيقة ، فجـدى الاعلى هـو الشماخ ابن ضرار قطب شعرآء الجاهلية ، وانـا مجاهـد بالفعل ٠

صانع الاقنعة : هـو الـذى صنع لك القناع فلمـاذا أنت غاضب عليـه ؟

مجاهـد بن الشماخ : هذه قصة أخرى سأرويها فيمـا بعـد ٠ اما الان فانا اقول ان المعلم العاشر زعم كمآ زعم المعلم التاسع من قبله ان شعر الغرام القانى فشـا فى الحجاز فى أوائل حكم بنى امية ٠ والحقيقة ان شعر الغرام القـانى والغرام الباهت وكل انواع الغرام فشـا فى كل عصر من عصور الدولة العربية لان العرب بسليقتهم عشاق معاميد ، وانـا لا أوافق ابا الفتوح الصباح فى تصوره أن العصر الذهبى كان خاليا من الغرام ، فأبو الفتوح الصباح أحول او أعـور يرى ادب الدين ولا يرى ادب الدنيا ٠

أبـو الفتوح الصباح : أتشتمنى ؟ انـا صديقك ٠

مجاهد بن الشماخ : انا لا اشتمك ولكنى أصحح آراءك عن العصر الذهبى ، الدولة العربية كلهـا عصر ذهبى ، وكل مـا فيها ذهب ٠ حتى الجاهلية الاولى ذهبية وهـذا هـو الفرق بيننـا نحن المثقفين العرب وبينكم معشر الروحانيين العرب نحن نقول أن دولـة العـرب دين ودنيـا ، وانتـم

تقولون انهـا دين فقط ، ولهـذا سنصل نحن الى الحـــكم أمـا أنتم فستمهدون لنا الطريق • انتم تكتوون بالنار ونحن نأكل الكستناء كما يقول الخواجات • وهـذا هو سبب فشل جـدك الاعلى حسن الصباح مقـدم الفداوية وشيخ طريقة الحشاشين رغم انـه برز فى الحروب الصليبية وهو أيضـا سبب فشل ابن عمك آيـة آللـه كاشانى فى ايران فى السنوات الاخيرة • لا تترك آلدعوة الباطنية ولكن ادخـل الاتحـــاد الاشتراكى ، وبهـذا تكون لك كوادر سرية وكوادر علنيـة فى حى الباطنيـة •

صانع الاقنعة : ما هـذا الكلام ! انتما تتآمران لقلـب نظـام الحـكم ؟

ابـو الفتوح الصباح : لا • أبـدا • انـا لا تربطنى بهـذا الرجل الا رابطة فكرية •

صانع الاقنعة : نحن كنـا نتكلم فى الادب والحياة ••• فمـا دخـل السياسة ؟

مجاهد ابن الشماخ : السياسة تـدخل فى كل شئ • فمثلا تعـددت الآراء فى اسباب تفشى شعر الغرآم فى الحجاز فى أوائل حكم بنى امية ، فصاحب « حـديث الاربعـاء » يقول آن شعر عمر بن ابى ربيعة وفرقة الشعراء العشـــاق كان يمثل صورة حقيقية لمجتمع ارستقراطى مترف متـــأنق انتشرت فيه الصالونات الادبية • وهناك رأى بأن بنى امية

ارادوا ان يستأثروا بالحكم فى الشام فشجعوا هـذا الترف فى الحجاز لعزله سياسيا وشغل شبابه عن الحياة العـامة بسفاسف الفن والادب وبمتع الحياة ، وهـذا ليس بمستبعد وعنـدنا أمثلة فى التاريخ ... فالصليبيون الامريكان علموا الا يروكوا والشيروكى والسيو والسجنولو واليوت وغيرهم من قبائل الهنود الحمر شرب الجن لينصرفوا عن القتـال ويتركوهم يمرحون فى البـلاد . وكذلك فعـل الصليبيون الاوروبيون بزنوج افريقيا : فتحوا بلادهم بالخمر والخرز . ولكن الارجح فى نظرى هو ان شعر الغزل هـذا لـم يكـن الا لونـا من الوآن القـذف السياسى قصـد بـه الشعـراء تلويث سمعة خصومهم بالتعريض بنسائهم المحصـنات وتصويرهن فى صورة الزانيات الفاجرات ، الـم اقـل لكـم ان القذف فن جميل وله تقاليـد راسخة فى الادب العربى ؟

أبـو الفتوح الصباح : انـا اعتقـد ان كل ماروى عمر ابن ابى ربيعة والعرجى وجميل بثنية والرقيات ووضـاح اليمن والاحوص والاخطل وغيرهم فى شعرهم من مغـامرات نسائية مع كرائم العقائل ليس الا اقاصيص من نسج الخيال والكذب فى سبيل الفن رخصة أعطيت للشعـراء من أقـدم العصور ، والى الآن فيما اعتقـد . فشـعر هـذه الفترة لا يصلح أن يتخـذ مرآة لذلك العصر . وصورة الشاعر يقتحم أو يتسلل الى مخادع البنات صورة شعرية قديمة ورثهـا

شعراء صـــدر الاسلام عن شعراء الجاهلية • نجـدها مثـلا في امرىء القيس ونجـدها في المنخل اليشكرى :

ولقـد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير

المعلم العاشر : ربما • ربما • ولكن هـذا لا يفسر كيف ان دواوين عمـر بن أبى ربيعة وعـديد من معاصريه ليست الا سلاسل محكمة الحلقات من قصائد لا تخرج عن هـذا المعنى : معنى التواعـد واللقاء أو التسلل الى المخادع • والارجح ان شعراء العصر الذهبى كانوا يفشرون في وصف هـذه الدون جوانيات أو على الاقـل يغالون بعض الشيء ، وهـذا ضعف انسانى تجـده في كل العصور • ولكن مجرد تفشى هـذا الاتجاه الادبى اكثر مما الفـه النـاس في الجاهلية ومجـــرد سـماح مجتمـع العصر الذهبى بتفتيشه يدلان على نـوع من السماحة والقبـول لهـذه « الموضـــة » الادبية • ثم أننـا لـم نسمع ان أحـدا اقام الحـد على عمر بن ابى ربيعـــــة رغم اعترافه بالزنـا أكثر من مائة مرة في قصائده ، والاعتراف سيد الادلة ، بـل هـو يذكر أسماء وعناوين من زنى معهن من النسـاء دون حرج ، واكثرهن من سيدات المجتمع المعروفات ومع ذلك لا يتعرض له أحـد • وواضح من سير شعراء العصر الـذهبى ان ما لقيه وضـاح اليمن أو الاحوص أو الرقيات أو الاخطل من العنت أو التهديد لم يكن بسبب دخولهم مخادع

السيدات ، ولا بسبب اجترائهم على نساء وراءهن سيوف طويلة هن نساء كبار رجال الدولة ، على طريقة : « اذا سرقت اسرق جمل واذا عشقت اعشق قمر » • فبعض من وصفهن هؤلاء الشعراء كن ملكات جمال مثل عائشة بنت طلحة تحدثت بجمالهن كتب العرب ، ولكى اقرب لكم الصورة تصوروا مثلا ان عبد الرحمن الخميسى او عبد القادر القط أو صلاح عبد الصبور أو أحمد حجازى كتب قصيدة في هذه الايام تباهى فيها بليلة حمراء قضاها مع زوبة المناويشى زوجة الدكتور محمود الدنديشى رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للكرافتات والبابيونات والخرق الحريرية ، وفى فيللا الدكتور نفسه خلف اندريا شارع الهرم• فماذا يكون الحال ؟ طبعا قضيتان : قضية قذف للتشهير تطبق فيها المادة كذا من قانون العقوبات (والحبس فيها واجب) ، وقضية زنا مع محصنة ، اى امرأة متزوجة (والحبس فيها واجب أيضا) ، وغالبا قضية ثالثة هى قضية طلاق بين محمود الدنديشى وزوبة المناويشى أو على الاقل علقة سخنة تبقى فى ذاكرة زوبة المناويشى لفترة طويلة • فسيف القانون اليوم احد من « سيوف أبيك » التى ذكرها الشاعر فى قوله : « فتكات لحظك أم سيوف ابيك » • وواضح اننا اليوم نقيم الحد بطريقتنا الخاصة على الزناة والقاذفين اكثر مما كانوا يفعلون فى العصر الذهبى وأننا لا نعلق

العقوبة على الاعتراف أو التلبس كما كانوا يفعلون بـــــل نكتفى بما تجمعــه النيابة من أدلة · وحتى لو افترضنــــا ان الخميسى أو القــط او عبــد الصبور أو حجازى مجــرد فشار لا يفعل شيئا ولكنــه يشنع ببنــات الناس ، وان الفشر ، فشر الشعراء ، شيء معروف للخاص والعـــام ، فهــذا قــد يعفى من تهمة الزنــا ولكنــه لن يعفى من تهمــة القذف · فاذا تصورتم ان اقتحام مخادع السيدات فى حراسة الخادمة والطباخ والشوفير وصبى المكوجى لــم يعــد موضوع قصيدة واحــدة ينظمها الخميسى أو القط او عبــد الصـــبور او حجازى بــل اصبح الموضوع المفضل عنــد شعرائنا واشترك فيه عزيز اباظة وعلى الجندى وعبــده بدوى وعامر بحيرى ومحمود عماد وبقيــة اعضاء لجنــة المــدرسة العمودية حتى أصبح سمة الادب العربى فى مصر عــام ١٩٦٥ ، واذا تصورتم ان الامر تجاوز زوبــة المناويشى الى كوكا وسونة ونوســة وريرى وزيزى وميمى وفيفى الدراويشى والملاميشى والفرافيشى والقراقيشى والحلمنتيشى ، وكلهن زوجات رجال من طبقة مديرى العموم من ذوى السيوف الطويلة ، ومع ذلك لا تخرج هــذه السيوف من غمدها الا فى القليل النادر ، فماذا انتم قائلون ؟ ومــاذا سيقول المــؤرخ الذى سيؤرخ لعصرنا عــام ٢٥٠٠ ميلادية عن طبيعة الحياة فى هــذا العصر ؟

نحن نعرف ان الكوكايين كان منتشرا فى مصر فى أوائل

العشرينات من نشيد حسن فائق ، المنسوب الى عبد اللـه شـداد ، « شم الكوكايين خلانى مسكين » ، ومثله الحشيش من نشيد سيد درويش عن « التحفجية ٠٠ فشر يـا دؤدؤ » كذلك نعرف ان الزواج من اجنبيات كان يمثل خطرا قوميـا فى العشرينات من روايات يوسف وهبى وفى الثلاثينات من قـرار لجنـة البعثات بحظر الزواج من أجنبيات على طلبتنا فى الخارج ٠ ومؤرخ الادب سنة ٢٥٠٠ سيقلب أدب عصرنـا فيجـد فيه أوصافا غريبة وتحليلات عجيبة لا نظير لهـا فى الادب العربى فى اى عصر من العصور لشخصيات مصريـة تظهر لاول مرة على خشبة المسرح ، مثـل طواف : عمان عاشور وفرفور يوسف ادريس وخضرة سعد الدين وهبه وعبـده افنـدى للطفى الخولى ، ويستنتج منهـا انه كانت فى مصر ثورة فقراء ومحاولة ضخمة لاعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية منـذ ١٩٥٢ ، سيصل مؤرخ الادب الى هـذه النتيجة حتى ولو لم يقع فى يـده أى كتاب من كتب التاريخ لان ادبنـا مرآة لعصرنا ٠ وقـد يكون مرآة منبعجة أو مقعرة كمرايا اللونابارك بسبب عقلية ادبائنا وتكوينهم النفسى ، ولكنـه مرآة من نوع ما على كل حال ٠ وسيجد مؤرخ الادب بعض التفكهة حين ينظر فيما سيبقى من ادبنـا فيجـده خاليا من وصف النساء خاليا من وصف الحب ، أو يكـاد يكون خاليا ٠ انا طبعا افترض ان « انت عمرى » لن تعيش الى

سنة ٢٥٠٠ وان نساء رشاد رشدى سيعشن فقط حتى يحال الى المعاش ، فرشاد رشدى هو الوحيد الباقى بين كتاب مسرحنا الذى لا يزال يكتب عن النساء واحوالها وعن الحب وأوضاعه • سيبتسم مؤرخ الادب ويسائل نفسه : ترى ماذا جرى لهؤلاء القوم منذ ١٩٥٢ أو على الاصح منذ اندثار مدرسة ابولو فى الحرب العالمية الثانية ؟ نعم • لن يجد مؤرخ الادب عام ٢٥٠٠ فى شعرنا ومسرحنا اى دليل على ان مصر كانت فيها نساء فى عهد الثورة الا روايات احسان عبد القدوس ، ومن هنا اهمية احسان عبد القدوس التاريخية وضرورة المحافظة عليه لانه آيتنا الوحيدة أمام الاجيال القادمة على وجود الجنس الآخر فى عهد الثورة • أما نجيب محفوظ فستكون رواياته مفاتيح لاشياء أخرى اشد خطرا وعمقا : ستكون مفاتيح لتشنجات اجتماعية وانسانية رهيبة على مستوى الجماعة كلها تفصح عن نفسها من خلال تشنجات رهيبة تجتاح قلوب رجال ممرورين قلقين ونساء ممرورات قلقات •

كل هذا يؤكد أن شعر عمر ابن ابى ربيعة وجميل والرقيات ووضاح اليمن والعرجى والاخطل والفرزدق •• الخ يجب ان يكون مرآة للحياة العربية فى المائة الاولى أو ما نسميه العصر الذهبى • وقد تواتر فى شعر كل هؤلاء الشعراء ١ ـ ان نساء العصر الذهبى كن يتتبعن موضات الشعر

السائدة فى ذلك العصر ٠ ٢ ـ انهن كن يتتبعن احـدث الازياء ويعرفن افخر انواع الخز والحرير من الداماسية (الدمقس) والشانتونج واللاميه والناما والموار والفـاى الى الجيبير والدانتللا ٠ ٣ ـ انهن كن يعرفن المـانيكير والبديكيـر والمساحيق من احمرى واخضرى وأزرقى وكريم وبودرة وريميل وكحل لتزجيج الحواجب حتى تصبح العيون كعيون المهـا ، نعرف هـذا من قول ابن الرومى فى وصف الطبيعة فى رونق الربيع : « تبرجت بعد حيـاء وخفـر تبرج الانثى تصـدت للذكر » ٠ ٤ ـ انهن كن يترددن على البلاجات غالبا بـلا مايوهات سواء من قطعة أو قطعتين ٠ ٥ ـ انهن كن يتواصلن مع العشاق على الاقل العشاق الشعراء ، ويتواعـدن معهـم فى الخمائل والادغال وعنـد عيون المـاء ، ويستقبلنهم فى الفراش بين المغرب والفجـر سواء فى مضارب الخيام أو فى الطوابق العليا كما حدث للفرزدق ٠ وكل هـذه الرذائل ، ان كانت رذائل ، لازمت بنات حواء من العصر الذهبى الى العصر الـذرى ، والارجح انهـا لازمتهن ايضا منـذ عصر الكهف ٠ الى العصر الذهبى ٠ هل قضيت على خرافة العصر الذهبى ٠٠ على الاقـل بالنسبة للنساء ؟

مجاهـد بن الشماخ : اذا كان هـذا حقا فهـو حـق يراد به باطـل ٠

صانع الاقنعة : ماذا تعنى ؟

مجاهـد الشماخ : اعنى ان المعلم العاشر يشن حملـة شعواء على حضارة العرب لانـه سيىء النية · وهو يقصـد ان يزرى بهـا لحساب الاوروبيين الملاعين الـذين دربـوه لهـذا العمل حتى نفقـد الثقة فى انفسنا ونوطىء لهـم فى بـلادنا ·

المعلم العاشر : مـا هـذا ؟ هل نحن فى محكمة تفتيش ؟ هـذا الرجل يحاكم الناس بالنوايا · لم يبق الا ان يـأتى بخنجر ويشق بـه قلبى بحجة انـه يريد ان يفتش فيه · ومع ذلك فكلامى يـدل على عكس مـا يقول · كلامى يثبت ان العرب علموا أوربا مـودة البوستيش والشنيون ومارى انطوانيت وعلموها استعمال ادوات الزينة وعلموها الاستحمام فى البلاجات ··· باختصار ، علموها كل مـا تصدره الينـا الآن من اسباب الحضارة فهـذه بضاعتنا ردت الينا ، وهـو نفس ما ينادى بـه مجاهـد بن الشماخ وأبو الفتوح الصباح وبقال العروبة · علموها عن طريق بيزنطة والانـدلس ومـا بينهما · علموها وتعلموا منها ·

مجاهـد بن الشماخ : انظروا ! الم اقـل لكـم ان المعلم العاشر دسيسـة ؟

كيف يقول ان العرب تعلموا من غيرهم ؟ العرب يعلمون ولا يتعلمون ، لانهم ولـدوا علماء · هـــذه آراء المبشرين والمستشرقين والمستعمرين · وقـد سبق ان صبى المبشرين

ادعى ان المعرى قرأ اليونان وهو افك عظيم ، فاليونان هم الذين قرأوا المعرى رغم انهم اقدم منه · لقد أثبت بما فيه الكفاية فى الجزء الاول من كتابى « أوهام وأراجيف » ان المعرى لم يعرف هوميروس أو ارسطوفانيس أو لوسيان · وسأثبت فى الجزء الثانى منه أن هوميروس وأرسطوفانيس ولوسيان هم الذين عرفوا المعرى ·

المعلم العاشر : انت مضحك يا شماخ ، انت وأمثالك ، ان قلنا ان المعرى كان مثقفا يعرف اليونانيات غضبتم ، كأننا ننسب اليه عارا وشنارا · ومع ذلك فأنتم لا تفتأون تذكرون ان العربية هى التى اعطت اليونان لاوروبا فى عصر النهضة · فهل كان العرب مجرد وراقين مثل مكتبة الانجلو ومكتبة النهضة وعيسى البابى الحلبى يبيعون المخطوطات اليونانية للاوروبيين دون ان يعرفوا ما بداخلها؟ طبعا لا ··· فقد كانوا أولا وقبل كل شىء مثقفين فى اليونانيات عارفين باليونانية · ومادمنا نتحدث عن أمور الحب فى العصر الذهبى ، فأنا اقرر هنا أمام جميع الحاضرين ان أمرأ القيس كان يعرف اليونانية ··· فنحن نقرأ فى « الاغانى » ان امرأ القيس طلب الى السموأل ان يكتب الى الحارث الغسانى أن يقدمه الى قيصر ، فلما انتهى امرؤ القيس الى قيصر اقام فى بلاطه مكرما وعينه قائدا

على جيش من جيوشه وكانت له عنده منزلة حتى افسد ما بينهما عدو له يدعى الطماح . قال الطماح لقيصر : « ان امرأ القيس ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل فى ذلك اشعارا يشهرها بها فى العرب « فيفضحها ويفضحك » وحتى لو افترضنا ان امرأ القيس كان يباهى بذلك من باب الفشر ، فهل يعقل ان يقيم عاما كاملا فى بلاط امبراطور بيزنطة دون ان يتعلم اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان حمارا كبيرا . وحتى لو افترضنا انه كان يستخدم ترجمانا اثناء اقامته فى بلاط ملك الروم يترجم بينه وبين قيصر ، فهل يعقل ان قيصر كان يأتمنه على قيادة جيش من جيوشه اذا كان لا يتقن اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان قيصر حمارا اكبر لانه عين فى جيشه جنرالا لا يستطيع قراءة أوامره وفرماناته ومراسيمه ، بل ولا يستطيع أن يتفاهم مع الصف الثانى والثالث من العمداء والعقداء والنقباء أو يجلس معهم فى مجلس حرب دون مترجمين . وحتى لو افترضنا ان قيصر كان حمارا كبيرا وان امرأ القيس كان حمارا صغيرا فكيف كان امرؤ القيس يطارح ابنة قيصر الغرام وهما معا فى بيزنطة ؟ فى الفراش طبعا لغة الاشارة تكفى ، ولكن هل يعقل انهما لم يخرجا قط من الفراش أو انهما لم يلتقيا ابدا الا فى الفراش ؟ وبأية لغة كان يراسلها وتراسله ؟ بالعربية التى لا تعرفها أو باليونانية

التى لا يعرفها ؟ بئس هذا الغرام الذى يحتاج دائما الى وسيط • ثم اننا نعرف انه مات ودفن فى قلب بلاد الروم • وهذا يدل على انه تردد على بيزنطة اكثر من مرة ، مات بالحلة المسمومة التى خلعها عليه قيصر حين غضب عليه ••• مات ميتة اسطورية تشبه ميتة كريوزا حين خلعت عليها ضرتها ميديا الثوب المسموم فى حكاية ياسون المشهورة • ان اى حمار فى ظروف امرىء القيس كان لابد ان يتعلم اليونانية قراءة وكتابة • بل الارجح انه تعلمها اصلا وهو صغير لانه من ابناء الملوك وتربية الامراء لم تخل من تعلم اللغات الاجنبية ومن استعمال السلاح الآ فى انـدر الاحوال • انا اقول لكم انكم تقتلون تاريخ العربوأدب العرب لانكم لا تفهمون ما تقراون بل ترددون كل ما جاء فى الورق الاصفر كالببغاوات ، وكانه تعاويذ مختومة لا يجوز لاحد فض اختامها خشية ان يضيع سحرها • ان اشد الناس خطرا على تراث القدماء هم سدنة تراث القدماء ، لانهم الهوا السلف فحنطوا حضارة السلف وفضلوا الماضى على الحاضر وقطعوا جذورنا وجعلونا كأطفال يتامى يبكون حول تابوت بديع وهم لا يعلمون ان اباهم لا يرقد فيه رقدة الموت، ولكن ينام فى غفوة من سبات عميق •

صانع الاقنعة : انهض ، انهض يا أوزيريس انا

ولـدك حوريس ٠ جئت اعيـد اليـك الحياة ٠ لم يـزل لـك قلبك الحقيقى ٠ قلبك الباقى ٠ كفى ٠ كفى ٠ لقد اثرت فينا الاشجان وانسيتنا الابتسام ٠ ارجو يـا سادة ان تتذكروا فى المـرة القادمة أن من يضحك كثيرا يحتفظ بشبابه طويلا ٠ فاضحكوا واضحكوا وان لم تجـدوا مـا تضحكون منـــه فاضحكوا من انفسكم ! والى أن نلتقى مرة اخـرى ٠ رفعت الجلســـة ٠

× المحاورة الرابعة ×

فردوس القطط والكلاب

بعـد أن افتتح الرئيس ، صانع الاقنعة ، الجلسة لادارة المحاورة الرابعة ، تنحنح قليـلا وقال انـه قـد جـاءه طلب باقفـال المناقشة فى هـذا الموضوع التافه المستهلك ، موضوع المرأة ، واقتراح باجراء التصويت فورا من بازرعة بن شخبوط وهو من اقصى اليمين ، والملوك الشارد وهو من اقصى اليسار (واليمين واليسار هنـا أوصاف جغرافية لا سياسية) .

وهنـا حـدث مرج شـديد لان خولة المـايسطرية والماركسية المسخسخة ساءهماان يقال ان موضوع المرأة موضوع تافه . وصاح الشاب الظريف ابـو سنة دهب لولى يطالب بفتـح باب المرأة الى الابـد وايـده فى ذلك خليع القبيلـة بجلبة شديدة لفتت نظر الحاضرين ، وكانت حجتهما فى ذلك انهمـا اختصاصيان فى المرأة عمليـا وانهما يحبان ان يستكمـلا معارفهما النظرية عنها . وكان تاجر البهارات يراقب كل هـذا

ويبتسم في خبث واعطى الشاب الظريف شيئا من لسان الدكر واعطى خليع القبيلة جوزة من جوز الطيب فزاد تهيجهما واخذا يهتفان « تحيا المرأة الذهبية ! » « الينا بالمرأة الذهبية ! » وهنا تدخل السندباد الجديد ملطفا هذا الهرج بقوله :

ـ المعلم العاشر والمجاهد والشماخ وأبو الفتوح الصباح اكتفيا بدراسة احوال المرأة من خلال صورتها في الادب والحقيقة ان الادب لا يعطينا الا بروفيل المرأة ٠ وأنا اقترح ان يرسم لنا احد صورتها في علم الاجتماع ٠ أنا لا اقول ان العلم فضلوه عن الادب ، ولكن المنهج العلمي ادعى لدقة المعرفة ووضوح التفكير ٠

الايديلوجي الفهلوي : انا مستعد لرسم صورة المرأة في علم الاجتماع ٠ أنا درست ٠٠٠

المعلم العاشر : أنا اعترض ٠ ليس بيننا واحد مؤهل في هذا العلم ٠

صانع الاقنعة : هل ندعو استاذا من الجامعة ؟

المعلم العاشر : لا ٠ انا اعرف كل اساتذة الاجتماع الدكتور أزؤز لا يعرف شيئا خارج دوركهايم ، والديك الجبار لا يعرف شيئا خارج ابن خلدون والدرفيل الوديع سيثرثر ثرثرة لطيفة عن استاذه ايفانز بريتشارد ٠ اقترح ان ندعو بعض الخبراء الاجانب : جيمس فريزر ومالينو

فسكى وايفانز بريتشارد وراد كليف براون وهـانز ليخت أيضـا اذا أمكن ولوينسون ·

صانع الاقنعـة : ما كل هـذا · واحـد يكفى ·

المعلم العاشر : مالينوفسكى اذن · هـاهو ذا بالبـاب أو على الاصح شبحه مـا أن فكرنا فيه حتى حضر بسرعـة ضـوء الفكر ·

صانع الاقنعـة : ادخـل يا مالينوفسكى ·

مجاهـد بن الشماخ : انـا اعترض على دعوة هـذا الافاق الدولى عـدو العرب · انـه أوروبى نجس ·

صانع الاقنعة : اسكت يا شماخ · مهنتك ·

مالينوفسكى : عـالم اثنولوجيا ·

أبو الفتوح الصباح : وما هـذه الاثنولوجيا من فضلك؟

مالينوفسكى : علم دراسة خصائص الشعوب ·

أبو الفتوح الصباح : سبحان اللـه · انـا لم اسمع ابـدا بهـذا العلم ·

مالينوفسكى : كانوا فى القرن التاسع عشر منـذ داروين يـدرسون شيئا اسمه الانثروبولوجيا أى علم الانسان أو الجغرافيا الجنسية كما تسمونها فى بلادكم ، وكانـوا يـدرسون الاجناس البشرية دراسة غريبة بقيـاس جماجم الناس وانوفهم وأطوال عظامهم وانواع شعرهم وتصـنيف فصائل دمهم ، كل ذلك لتحـديد الفوارق والجوامع بـين

الاجناس المختلفة لمعرفة ما اذا كانت الاجناس من اصل واحد · ثم خطرت للبعض فكرة طريفة وهى ان يدرسوا عادات الشعوب وخصائصهم الاجتماعية بدلا من التركيز على خصائصها السلالية · وسموا هذا انتروبولوجيا اجتماعية والحق انى لا اعرف بالضبط الفرق بين هذه الانتروبولوجيا الاجتماعية وما نسميه اليوم الاثنولوجيا · كلها اسماء مضحكة · المهم ان علماء الانثروبولوجيا الطبيعية بالغوا فى احكامهم على سلالات الشعوب لمجرد استعمالهم المساطر والبراجل واخذوا يصدرون الاحكام على البشر · وكان طريفا ان نرى دعاة النازية فى البلاد الاخرى يؤمنون بهذه النظرية رغم انها تثبت تخلفهم الفطرى · مثلا فى مصر ، فى الاربعينات صفق بعض الناس للنازية رغم أنها تضع المصريين فى المرتبة العاشرة والعرب فى المرتبة العشرين من درجات التخلف الفطرى الذى لا يجدى معه تعليم · ولما راينا استفحال خطر هذه المدرسة راينا من واجبنا ، نحن دعاة الانثروبولوجيا الاجتماعية ، او الاثنولوجيا ، ان نهاجمها بقسوة ، لا سيما واننا من انصار الديمقراطية ومن دعاة المساواة بين البشر فأثبتنا ان كل حديث عن السلالة خرافة في خرافة لانه ليست هناك سلالات صافية وكل شعوب الارض بزرميط بسبب الحروب والهجرات المتواصلة ، وأعلنا أن علم الإنسان لا يكون علما الا اذا كف عن قيباس اللحم والدم والعظم ووقف عند

دراسة عادات البشر ونظمهم الاجتماعية : مثلا نظـام الاسرة نظـام التوريث · نظام الحكم · نظام السحر · طقــوس العبادات · نظام البغـاء · طقوس الافراح والموالـد ، وكل مـا يدخل فى باب « الثقافة » و « الحضـارة » و « المعتقدات » والعادات الاجتماعية · برونسلاف مالينوفسكى · فى خدمتكم · أنـا مثلا مسحت ميلانيزياوبولنيزيا ، وايفـانز بريتشـارد مســح السودان وفسترمارك مسح شمال افريقيا واستاذنا تيلور مسح الهنود الحمر وصديقتى الســـيدة سيليجمان مسحت شعوب افريقيا ·

مجاهـد بن الشماخ : الـم اقـل لكم ؟ ان عنـدنا من هـو افضل من هـذا المبشر الافاق · رحـم الله ابن بطـوطة والقزوينى وابن خلـدون ·

مالينوفسكى : ابن بطوطة والقزوينى وابن خلـدون ؟ رجال عظام · سمعنا عنهم وقراناهم من الجلـدة للجلـدة فى سـنة اولى جامعة ·

صانع الاقنعـة : ادخـل فى الموضوع يـا مالينوفسكى · السؤال هـو : ما قول العلم فى نساء العصر الذهبى ؟ هـل كان نظـام الاسرة مثلا فى العصر الذهبي ارقى منه فى عصرنا ؟ واحوال المراة واوضاعها هل كانت فى المجتمع الـذهبى ارقى منهـا فى مجتمعنا ؟ نحن رايـنـا صورة المـراة فى مرآة الادب فوجدنا ان الحـال من بعضه ، وبقى ان نرى صــورتها فى

مرآة العلم • لن نتضايق اذا القيت علينـا محاضرة بشرط ان تكون طريقة فنحن فى الاصل ادبـاء كما تعـلم •

مالينوفسكى : « انـا بوصفى واحـدا من صـــفوة الصفوة فى الاثنولوجيا اقرر انى كلما التقيت بمسز سيليجمان او الدكتور لووى وكلما ناقشت راد كليف براون او كروبر ، أحس لفورى ان زميلى لا يفهم شيئا فى الموضوع ثـم احس عـادة فى النهاية أن هـذا ينطبق على ايضا • وهـذا ينصب على كل ما كتبناه فى موضوع القـرابة ، وهـذا الاحسـاس متبادل تماما » •

صانع الاقنعة : اهـذا من تواضع العلماء أم هى نكتة ؟

مالينوفسكى : مطلقا • هـذه حقيقة • وعلى كل حال مادمتم تطلبون رايى فسأكتفى بعرض الحقائق واستخلصوا انتم ما تشاءون •

اين أبـدا ؟ فى العصر الذهبى • طبعـا انتم لاتقصدون حواء فى الجنـة قبل سقوط الانسان ، فهـذه المرحلة معروفـة للجميع • سابدأ اذن من نقطة غير معروفة وهى بدايـة تاريخ حواء على الارض أو بناتها بتعبير ادق • فأول اثر وجـده علماء الآثـار للمرأة على الارض كانت بعض التماثيل الصغيرة بحجم الكف التى يرجع تاريخها الى نحو٢٠٫٠٠٠ سنة ، اى فى العصر الحجرى القديم ، تماثيل لنسـاء ولحيوانات • طبعـا المراة كانت موجودة على الارض قبل هـذا التـاريخ

بسنوات لا تحصى ، ولكنى اتكلم عن اى أثر مادى يدل على وجود نساء على الارض غير تسلسل الذرية • اكتشفت هذه التماثيل فى اواخر القرن التاسع عشر فى كهوف براسمبوى بجوار مدينة بايون فى جنوب فرنسا فى منطقة جبال البرانس ثم اكتشفت مجموعة اخرى من التماثيل المشابهة فى كهوف جريمالدى بجوار مدينة منتون بين الريفيرا الفرنسية والريفييرا الايطالية • وكانت هذه التماثيل تتميز كلها بطابع واحد وهو ضخامة الثديين وبروز البطن بدرجة ملفتة وبجسامة العجز لدرجة لا تطاق : ومن تواتر هذه الظاهرة ظن علماء الانثروبولوجيا أولا ان نساء العصر الحجرى كن جميعا مريضات بمرض تضخم العجز • ولكن هناك احتمالا بأن يكون هذا مجرد اسلوب الانسان الاول الفنان فى التصوير اى مجرد التركيز على اعضاء المرأة التى تتصل بوظيفة الاخصاب والمبالغة فى ابرازها كما يفعل فنان اليوم فى الكاريكاتير • فالفنان القديم لم يهتم بأن يبين فى تماثيله ملامح الوجه والقدمين ، ولم يعرف ان كانت هذه لربة الحب أو الاخصاب ام انها كانت تمثل نساء حقيقيات على كل حال فان العلماء اطلقوا على هذه التماثيل اسم « فينوس جريمالدى » تشبها بقولهم « فينوس ميلو » •

صبرى النقاش : هذا يثبت ان فن النحت فن قديم جدا

مالينوفسكى : لا شك • لا شك ، ٢٠٫٠٠٠ سنة

علـى الاقـــل ، أى مـا قبـــل التـــاريخ ٠ وفى ١٩٠٨ اكتشف عامل كان يشتغل بمـد السكة الحـديد فى قريـــة ويلنـدورف فى النمســا على شـط الدانـوب رسـما أحمـر طوله ١١ سنتيمترا على حجر ، وهـــو من نفس الفترة اى يرجع الى ٢٠٠٠٠ر٢٠ سـنة ، وقـد حفر فى الحجر بآلة حـادة أو ازميل ، ويقال انــه اقـدم نموذج معروف من فن التصوير وهـو من حيث التكوين مشابه تماما لنساء فرنسا وايطاليـا منــذ ٢٠٠٠٠ر٢٠ سنة على الاقـل فى خيال الفنان : نفس الاثداء الجسيمة والبطن الجسيمة والعجز الجسيم ، صورة مقززة طبعـا بالنسبة لاذواقنا ٠ ولكن الغريب ان هـذه الكتلة من الشحم كانت تلبس سوارا على كل ذراع من ذراعيها وشيئا يشبه الحليـة على الراس يظن انــه كبود ٠ تصــوروا ! حتى فى العصر الحجرى القـديم تفكر المراة فى زينتهـا قبـل ان تستر جسدها ! وغير معروف ايضـا ان كانت « فينوس ويلنـدورف » او حـواء النمسا تمثل صورة كاريكاتورية ام امراة حقيقية ٠ كذلك عثر علمـاء الآثار فى استوريتز عـــلى صورة محفورة فى الحجر من نفس الفترة تمثـل منظرا غراميا : رجل عـاز ينظر فى ضراعة الى امراة عـارية وقـد رفع يديه وكانه يتوسل ، وعلى فخـذ المراة رسم الفنان سهما رمـــزا لرغبة الرجل ، والوضع كله محترم ويوحى بأن الفنـان الاول لـم يكن متبذلا كبعض فنـانى اليوم ، ويثبت أن انســان

العصر الحجرى القديم كان لا يخلو من الرومانتيكية ٠ وقد تصور فريزر وريناخ كعادتهما فى كل هذه التماثيل والنقوش انها لربات الحب والاخصاب ، او بقايا لديانة تقوم على عبادة المراة اختلط فيها السحر بالدين ٠ أما الحقيقة فلا يعلمها الأ الله ٠ ولا يقل اهمية عن ذلك تلك الصورة التى وجدها علماء الآثار بكهف فى فالنسيا بأسبانيا عمرها ١٦٫٠٠٠ سنة ، اى من العصر الحجرى الوسيط ، والصورة تصور امراة تعمل ، فهى واقفة على سلم صنع من حبال مجدولة ، تجمع الشهد من خلايا النحل لتضعه فى سلتها ولكن جسم هذه المراة نحيل جدا وهو من الطراز الافريقى ٠

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : هذه معلومات ممتازة اذن فلدينا دليل يقينى على ان المراة كانت تعمل كالرجل تماما ، على الاقل منذ ١٦٫٠٠٠ سنة ٠ وهذا وحده كاف لاخراس كل المعترضين على خروج المراة لميدان العمل ٠ أنا دافعت عن حق العمل للمراة فى احد مؤلفاتى على الاساس البيولوجى لا على الاساس الانثروبولوجى ٠ حولت رجلا الى امراة وامرأة الى رجل لاثبت حق المرأة فى العمل فظن **الاغبياء** انى أدعو لحق الرجل فى الحمل وانا اقطع بأنها كانت دسيسة رجعية ٠

ابو الفتوح الصباح : مهلا ، مهلا ، لو فكرت جيدا فى الصورة لوجدت ان المراة لم تكن تعمل طبيبة أو محامية

أو مهندسة او موظفة ولكن كانت تعمل فى جمع الشهـــد ، اى تعمــل فى التدبير المنزلى وهــذه بالضبط هى الوظيفــة الطبيعية للمرأة كما قلنــا ، ولمن تجمع المرأة الشهد ؟ طبعــا لزوجها واطفالها · وهــذا بالضبط ماندعواليــه : ان تجمع المراة الشهد لزوجها واطفالها · وان تعمل وتعمل وتعمل ولكن فى التــدبير المنزلى فقط · برافو يا خواجه مالينوفسكى ، لاشك ان العصر الحجرى الوسيط كان عصرا ذهبيــا وانتــم تسمونه بالخطــأ عصرا حجريا ·

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : مهــلا · يــا ابــا الفتوح ياصــباح · أنــا موافق على ان تعمل المراة فى التــدبير المنزلى فقط ، ولكن على مستوى الدولة كلهــا ·واذا كانت المراة منــذ ١٦٫٠٠٠ سنة تجمع الشهد بيــــديها فى سلتهــا لاسرتها بوسائل الانتاج البدائية هــذه فقــد تقدمت وسائل الانتاج بعــد ١٦٫٠٠٠ سنة وأصبح فى امكانها اليوم ان تــدير مصنعا لانتاج العسل الطبيعى والصناعى وكافــة انواع المربات وتعليبها بالوسائل الآليــة فى البرطمانات او الصفيح للاسرة الكبيرة وهى اسرة المجتمع كلـــه بــدلا من حجزهــا فى بيت سيادتك لتصنع لك وحــدك مربة الخــوخ والمشمش ولــكى تتمكن المــراة من ذلك يجب ان تدخل كلية الزراعة · وقياسا على هذا يمكنهــا تربية العجول والاغنام وانتـــاج السمن والزبــد والجبن للامــةكلهــا بــدلا من تربية

ديـك ودجاجتين فقط على سطح سيادتك ٠ أيها التقدميون !
اهتفوا معى : فلتحيـا الاثنولوجيا ! فلتحيـا الانثروبولوجيا الاجتماعية !

مالينوفسكى : إنـا سعيد بهـذه المقاطعات أيها السادة وارجوكم ان تقاطعونى كلما استطعتم ، فهـذا أولا يريحنى من الكلام المتواصل فى شيخوختى ، وهو ثانيا يتيح لى البقاء فى بلادكم الجميلة هـذه أطول مـدة ممكنة ، وهـو ثالثـا يعطينى فرصة ذهبية لدراسة مجتمعكم البـديع اثنولوجيـا فانـا ارى امامى نماذج بشرية ممتازة وغرائب فى التفكيـر والسلوك تستحق الدراسة والتسجيل ٠ مثلا كل هـذا الانفعال الجميل بسبب ان المرأة تعمل أو لا تعمـل ، نحن نسينا هـذا الانفعال فى اوربا منذ مائتى سنة بالضبط ، اى منـذ الانقلاب الصناعى ٠ واذا كان يهمكم ان تعرفوا تاريخ العمل بالنسبة للمرأة ، فالمرأة العاملة بالمعنى التـام بـدأت منـذ انتهـاء عصر الصيد وابتداء عصر الزراعة ، اى منـذ نحـو ٧٠٠٠ سنة ، أمـا عصر الرعى فلا داعى للكـلام عن العمل فيه سواء بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمرأة لان الرعاة قـد يحسنون المشى أو ركوب الخيل والابل أو الغزو والسطو ولكنهم لا يعملون بتـاتا وكانت أول الاعمال التى قامت بها المرأة رسميا منـذ ٧٠٠٠ سنة هى البذر والحصاد وصناعـة المنسوجات ٠ وأعتقـد ان المرأة لا تزال اليوم تزاول فى ريفكم كل هـذه الاعمال ٠

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : وبنــاء عليــه يجب ان نطالب للمرأة بادارة اراضى الاصلاح الزراعى وبادارة مصانع النسيج فى المحلة الكبرىوكفر الدوار وشبرا الخيمة ٠ بهــذا نمارس المرأة نفس الاختصاصات التى كانت تمارسها منــذ ٧٠٠٠ سنة ٠

مالينوفسكى : هــذا شأنكم وانــا لا ادخل فيــه والا تلتم عنى انى عميل ، نحن نشكو اليوم من ان نســـــاءنا يحكموننا ٠ انا مثلا كنت اسلم كل مرتبى لمسز مالينوفسكى ولا استطيع ان اتأخر فى النادى أو البار بعد الساعة العاشرة وهو موعــد اغلاق البارات فى انجلترا ، وعنــدما اريــد أن اسمع باخ وموزار تفرض هى على ســـــماع تشايكوفسكى وشوبان لانهــا رومانتيكية فأحس بحــاجة الى القىء ٠٠٠ حتى الوان بــدلى وكرافتاتى تختارها لى ٠ ولكن صدقونى ، ان الحالة كانت اسوأ بكثير فى مجتمع العصر الذهبى ، اليس هــذا ما تقصدون ؟ أى عصر قــديم هــو العصر الذهبى ؟ كانت الحالة اسوأ بكثير فى مجتمع ما قبل التاريخ أو عــلى الاصح قبل اكتشاف الزراعة ٠ فقــد كان النســاء يحكمون الرجال حكما رسميا لا مجرد حكم مجازى ، واقمن فى قبائل كثيرة نظــاما سياسيا واجتماعيا يسمى « الجيناوقراطية » اى « حكومة النساء » وهو مثل قولنــا « ارستقراطية » لحكم الاشراف « ديموقراطية » لحكم الشعب ٠ وقــد اكتشف

علماء القرن التاسع عشر أن سبب قيام هذا النوع من الحكم هو نظام الزواج على المشاع فى مجتمعات انسان ما قبل التاريخ وفى مجتمعات الفطرة وقد بقيت بعض آثار هذا النظام فى بعض مجتمعات الانسان التاريخى • وفكرة الزواج على المشاع طبعا فكرة تصدم الشعور ، ولكن اذكروا أنه لاشعور فى العلم ، ثم ان بعض الفلاسفة المثاليين المحترفين من امثال أفلاطون دعوا لها • وافلاطون فى « الجمهورية » اوصى بتطبيق الزواج على المشاع بين طبقتين فى المجتمع : الطبقة الحاكمة وطبقة الجنود ليكون النسل أبناء الدولة بالمعنى الحرفى لا بالمعنى الجازى ، وأوصى بنظام الاسرة فقط للطبقة الثالثة وهى الطبقة الوسطى أو الطبقة البورجوازية من أرباب المهن والحرف • على كل حال نظام الزواج على المشاع ترتب عليه طبعا ان الاب كان غير معروف وان ولاية الام على الابناء كانت تامة ، وهذا اكسب المراة مكانا ممتازا فى المجتمع وبهذا انفردت بالسلطة السياسية والسلطة المدنية اذا اردتم ان تسموا هذا المجتمع « مجتمع القطيع » فلا بأس من هذه التسمية ، كذلك كان للنساء سطوة عظيمة فى إقتصاديات المجتمع عن طريق التدبير المنزلى وغير المنزلى •

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : أنا اتلمظ •

أبو الفتوح الصباح يصر على سنية هذا المجتمع بالمجتمع

الـذهبى • هـو يمجـد الفطرة اعطه مزيـدا من الفطرة يـا خواجة مالينوفسكى •

ابـو الفتوح الصباح : اعـوذ باللـه ، اعـوذ باللـه •

مالينوفسكى : كانت حكومة النساء تستند الى مبـدأ شرعى اسمه « الحق الاموى » باللاتينية « يوس ماترنوم » وكان اول من لفت النظر الى وجود هـذا النظام الاموى مبشر جزويتى اسمه لافيتو ، كان فى أوائل القرن التاسـع عشر يـدرس قبائل الهنود الحمر فى امريكا الشمالية ووجـد هـذا النظام ممارسا بين الهنود الحمر •

مجاهد بن الشماخ : الم أقـل لكـم ؟ المبشرون دائما وراء هـذه الافكار الحقيرة المفسدة •

مالينوفسكى : لا تغضب يا سيدى • انت على حق الى حـد مـا ••• هكذا بدا الامـر فى أول الامر ، لانه لم يتجول فى المجتمعات البدائية غير المغامرين والمبشرين • منابع النيل مثلا اكتشفها المبشرون وبعض المغامرين المجانـين ، وربمـا بعض الجواسيس المثقفين ،فهـل معنى هـذا ان منابع النيل غير موجودة ؟ لمـاذا لا تتشبهون بنـا ؟ انتم ترسلون بعثات تبشيرية لنشر الاسلام فى افريقيا الاستوائية وترسلون بعض الملحقين والمـدرسين ورجال العلاقات العامة ولو ان كل واحد من هـؤلاء درس عادات القبائل الزنجية التى يتصـل بهـا ولهجاتهـا ونظمهـا وديانتها وكتب عنهـا تقـارير لوزارتى

الخارجية المصرية والتعليم بدلا من كتابة التقارير والشكاوى فى زملائه ، لاستفاد علم الانثروبولوجيا الاجتماعية فائـــدة عظيمة ٠ وعلى كل حال فالاوربيون كانوا منـذ ١٥٠ سـنة مثلكم تماما ، فحين اعلن الاب لافيتو نظريته عن المجتمـع الاموى (نسبة الى الام لا الى امية) صدمت آراؤه ابنـاء عصره ولم يقتنع بهـا الا الاقلون ٠ حتى نشر باخوفن الالمانى كتابه المعروف « الحق الاموى » فى ١٨٦١ فأحدث كتابه زلزلة كبيرة فى اوروبا كلهـا واعتبرت آراؤه اكتشافات اجتماعيـة خطيرة ٠ كانت نقطة الابتداء عند باخوفن ماروراه هيرودوت من أن اهـل ليسيا كانوا يسمون ابناءهم باسم أسرة الأم ، نأخـذ يجمع الشواهد من التاريخ ومن المجتمعات البدائية ومن آداب القدمـاء ، وتوصـل الى وجود مجتمعات عـديدة تحكمهـا المراة ونظام الارث فيهـا يتبع الخط الاموى ٠ وحتى فى بـلادكم الجميلة اشتبه بعض العلماء فى ان اسماء القبائل المؤنثة مثـل ثعلبه ومرة وقضاعة وامية ليست الا بقـايا مجتمعات اموية قديمة جـدا فى شبه جزيرة العرب كانت فيها حكومات نسـاء وبقيت الاسماء بعـد انتقال هـذه القبائـل الى مرحلـة المجتمعات الابوية ٠ ولـم يكن باخوفن هـذا رجلا تقدميـا يطالب بتحرير المراة واشراكهـا فى مسئوليات الحـكم بالحق وبالباطل بـل كان على العكس من ذلك رجـلا محافظا ينظر بامتعاض الى سيادة المراة ويعتقد انها مرحلة تخلـف

وانحطاط وبدائية · فالطبيعة حقيقة جعلت المرأة هى الحاكم الطبيعى فى الاسرة والمجتمع ··· وسيادة الرجل المتأخرة تقوم على الاغتصاب فى التنظيم الاجتماعى ، ولكنه اغتصاب كان فى مصلحة الانسانية وتقدمها · فعند باخوفن ان المرأة مساوية للفطرة والجسد بينما الرجل مساو للمدنية والعقل وسيطرة العقل والمدنية طبعا ارقى من سيطرة الجسد والفطرة · هذا على كل حال رأى باخوفن وحكمه وليس رأيى وحكمى فأنا ليست لى آراء واحكام · انا فقط اسجل واجمع وادرس ولكنى لا اصدر احكاما · وطبعا هلل الذكور منذ مائه سنة لنظريات باخوفن لانها نادت بامتياز الرجل على المرأة ، ولكن الذكور فى أوروبا كانوا اغبياء لانهم لم يفهموا ان كلام باخوفن رغم ارضائه لغرورهم كان اول معول حقيقى قوض سلطان الرجل فى العالم لانه زعزع ايمان الناس بسيادة الرجل سيادة ازلية ابدية وعرف الناس ان الرجل لم يكن دائما حاكما فى الاسرة وفى المجتمع · والحاكم الطارىء يمكن ان ينزع منه الصولجان ، فهو قابل للعزل او التنازل ·

ولم يلبث الاثنولوجى الامريكى مورجان ان دعم نظريات باخوفن فتتبع تحول مجتمع قبيلة من الهنود الحمر الايروكوا من نظام الحق الاموى الى نظام الحق الابوى فى زمنه وكتب عنها ودرس شيوعية الزواج فى مجتمعات

القطيع وظهور بـدايات التنظيم الاجتماعى فى مجتمع الصيد حيث قسمت كل قبيلة الى مجموعات ، كل مجموعة رجالهـا حرم عليهم ان يتزوجوا من نسائها ولكن أبيح لهم ان يتزوجوا من نساء المجموعات الاخرى ، مع بقـاء الزواج جماعيـا لا فرديا ، وهو مـا ابقى المجتمع تحكمه المراة فى كل مـا يتصل بعلاقات الاسرة وبالتوريث نظراً لعـدم تحديد الآباء ٠ ولكن مـا ان تطورت وسائل الانتاج بحيث امكن للفرد ان يستغنى عن الجماعة حتى ظهر التخصص فى الزواج ، اى ظهرت الاسرة بالمعنى الحديث كنتيجة مباشرة لظهور المـلكية الفرديـة ٠ وانتقلت السيادة للرجل باعتبار انه الاقوى والانشط فامتلك الرجلْ المراة وفرض عليها التخصص لـه بينما احتفَظ لنفسـه بحقْ التعـدد الى مـدى ملكيته لضمان انتقال الارث الى اولاده هـو لا الى أولاد الرجال الآخرين ٠ وهكـذا انتقـل المجتمع من النظام الاموى الى النظام الابوى بظهور المـلكية الخاصة ومعـه ظهر نظام الرق الـذى لم يكن معروفاً فى الشيوعيـة الاولى ، ظهر نظام الرق لمـا للرقيق من قيمة اقتصادية فى فلاحـة الارض والزراعة بوجه عـام ٠ وبهـذا كان اكتشاف الزراعة هـو الخـط الفاصل بين مرحلتين فى تاريخ البشرية مرحلة الشيوعية البدائية ومرحلة المـلكية الفردية وهكـذا كانت مرحلـة الملكية الفردية بدايـة ظهور نظامين من اهـم النظم الاجتماعية التى عرفتها الانسانية : نظام الرق ونظام

الاسرة حيث الرجل لا المراة هـو راس الاسرة وراس القبيلـة وراس الدولـة وراس كـل تنظيـم اجتمـاعى ٠ وتوالـت الدراسات لتؤيـد جوهر هـذه النظرية بين الهنـود الحمر والاسكيمو وزنوج افريقيـا واليونان والرومان ومصر القديمة وسكان ميلانيزيا وبولوينيزيا ٠٠٠ الـخ ٠ اراكم تتثاءبون يا سـادة متأسف انى لست مسليـا بالشكل الكـافى ٠

القـط الاسود الاليف : لا ٠ لا ٠ هـذا الكلام مثير ٠ انـا شخصيا متحمس ٠ انـا رايت بعض مظـاهر الزواج الشيوعى بين الشلوك والدنكا عندمـا زرت المـلكال فى العام المـاضى ٠ وانـا شخصيا غير مهتم بالتنظيم الاجتماعى ، ولكنى مهتم بالتكوين النفسى لفطرة الانسان ٠ الحب والغيرة ٠٠ كـل فنـان يجـب أن يهتـم بالحـب والغيـرة ٠ ورأيى ان انسان الغابة ارقى من انسان الفيللا ٠٠٠ انـا بورجوازى ولكنى متحمس لهـذا الكلام ٠

مالينوفسكى : على العموم انت لست وحـدك المتحمس قبلك فى القرن التاسع عشر التقط آباء الشيوعية كارل ماركس وانجلز وببيل كلام مورجان ورفعوه راية لتحرير المراة ٠ انجلـز وببيل بالذات اقاموا المظاهرات ـ فى الكتب طبعـا ـ لاراء مورجان وفصلوا منهـا ثوبـا غريبا على قامة نظريتهم الشيوعية : مادام نظـام الاسرة وسيادة الرجـل قد ظهـرا

ـ كنظام الـرق ـ بظهـور المـلكية الفردية فباختفاء الملكية الفردية سيختفى نظـام الاسرة وستختفى سيادة الرجـل وسيختفى نظـام الـرق • فى البـدء كانت شيوعية الفطـرة وفى النهـاية ستكون شيوعية المـدنية • المـلكية العامـــة لوسائل الانتاج ••• الآلى والحيوانى والنباتى ••• الفكرة رومانتيكية غريبة وتشـبه البيوت التى يبنيهـا الاطفـال بالمكعبـــات •

ابو الفتوح الصباح : الفكرة حيوانية حقيرة •

ابن سيركوف : الفكرة صحيحة نظريا ولكنهـا سـابقة لاوانهـا عمليـا •

ابن ماركـوف : الفرق بين زراعـة أبنـاء الاسرة وزراعة أبنـاء الدولة هـــو الفرق بين الكولخوز والســـــوفخوز • وبالتقـدم من الاشتراكية الى الشـــيوعية ستتقـــدم من الكولخوز الى السوفخوز • الفكرة صحيحة نظريـا كما قال ابن سيركوف ولكنها سابقة لاوانها •

ابـو الفتوح الصباح : يا صانع الاقنعـة هل انت نائم ؟ ارحنـــا من هـذه الحقـارات والتهجـم على المقدسـات والا خلعت هـذا الحـذاء ، اطرد هـذا الخواجه وكل هـــــؤلاء الضبيـــة •

مالينوفسكى : ولمـاذا تطردنى ؟ انـا من رايك ولـكن لغير الاسباب التى تبديها • نحن فى أوربا نرد على العـلم

بالعلم ونرد على المقدسات بالمقدسات • كنا مثلكم واغضع منكم ، نغضب اذا لم يعجبنا كلام الغير ونعقد محاكم التفتيش ونحرق خصومنا فى الرأى على الخازوق • ولكننا اكتشفنا ان الاضطهاد ، للافكار كالزيت للنار يزيدها اشتعالا كما حدث فى تاريخ الايان والمذاهب الكبرى وتعلمنا الدرس فعالجنا هذه المسائل بالمؤتمرات والندوات ••• بالحوار • بالحوار فى الكتب وفى الصحف وفى القاعات وفى الاذاعة والتليفزيون وهم يفعلون مثلنا فى امريكا ، وقد بلغنى انهم اخذوا بهذا المبدأ أيضا فى الاتحاد السوفييتى بعد موت ستالين • المسالة بسيطة • نحن اكتشفنا ان القردة العليا متخصصة فى الزواج وان هذا من اسباب تقدمها على القردة السفلى كالنسانيس مثلا • اكتشفنا ان التخصص فى الزواج او ما نسميه نظام الاسرة ليس اختراعا بورجوازيا كما يقول بعض الشيوعيين ولكنه اختراع انسانى عظيم لا يقل مثلا عن توليد النار أو اختراع العجلة او تفتيت الذرة ، وهو السبب الاول او من الاسباب الاولى فى الانتقال من ما قبل التاريخ الى التاريخ لان تحويل القطيع لوحدات صغيرة اسمها أسر كان معناه تعيين معلم او معلمة بالمجان فى كل بيت ، ملايين المعلمين دون ان يدفع المجتمع قرشا واحدا من مرتباتهم ، معلم ومعلمة على كل عشرة اطفال • باختصار ضاعفنا عدد

المعلمين فى المجتمع ، لان الطفل فى زواج القطيع لا تربيه غيـر امـه ، وهى عـادة مشغولة بأعمال الاسرة المباشرة • أمـا فى مجتمع الاسرة فالاب يساعـد الام فى تربية الطفل • وبعد فترة الحضانة يصبح المعلم الاب انفع للطفل من الام المعامة لان الأم تعلمه كيف يستهلك امـا الاب فيعلمه كيف ينتج • المسألة ليست ان امتياز الرجل على المرأة هـو الـذى خـلق الحضارة كما كان يقول باخوفن • المسألة أن مجتمع الاسرة ضاعف عـدد اعضـاء هيئة التـدريس فيه فنشأت الحضارة وقـد ثبت بالتجربة أن الوالدين بوجـه عـام اخلص فى تعليم الابنـاء من الغرباء لانهم أولا يرون انفسهم من ابنائهم ولانهم ثانيا متفرغون لهم • وكل هـذا بالمجان • تصوروا • وانتم فى مصر شعب حكيم ، فقـد بلغنى ان عندكم مثلا يقول فى وصف خيبـة الامـل : « ياباني فى غير ملـكك يا مربى فى غير ولـدك » • واذا كان عقوق الابنـاء مشهورا فمـا بالكم بعقوق أبناء الغير ! باختصار : نظام الاسرة كان ثورة تربوية وتعليمية • وهـذه الثورة ساعـدت على نقـل الانسان من الهمجية الى المـدنية • صحيح ان ظهور نظـام الاسرة ترتب على ظهور نظام المـلكية الخاصة ولكن العودة لنظـام المـلكية العامة لا يستلزم بالضرورة العـودة لنظام الزواج الجماعى هـذاه تكون غباوة لان معناها التنازل ..اختياركم عن نحـو ثلاثة ملايين مدرس خصوصى متفـرغ مجـانى • وفى

الهوجة الشيوعية الاولى ظن الروس حتمية الزواج الجماعى مع حتمية الملكية الجماعية لمجرد انهم قرأوا هذا الكلام فى انجلز وببيل ثم تخلصوا فورا من هذه الحرفية الصبيانية وحافظوا على نظام الاسرة بعد ان عدلوا بعض قوانين الزواج البالية • وهذا ما فعلناه نحن ايضا عدلنا بعض قوانين الزواج البالية وحافظنا على نظام الاسرة ••• لا تخافوا يا سادة • انا لست شيوعيا ولكنى اقول لكم انه ليست هناك علاقة حتمية بين الملكية الجماعية والزواج الجماعى والا كانت العودة الى الشيوعية الاولى معناها العودة الى الاسلحة الاولى أو الحياة على طريقة الهنود الحمر ويمكنكم ان تؤمموا كما تشاءون اذا وجدتم فى هذا نفعا لكم ، ولا تخافوا على نظام الاسرة • انا شخصيا لا أوافق على نظام الملكية العامة ولكنى تتبعت بامتعاض شديد حملة التشهير بالاتحاد السوفييتى التى قامت بها صحافتنا الصفراء بين الحربين لتثبت أن الروس عادوا ـ جنسيا ـ بسبب الشيوعية الى فردوس القطط والكلاب • انهم مازالوا مثلنا اقرب الى القردة العليا •

صانع الاقنعة : هل انتهيت يا خواجه ؟

مالينوفسكى : انا لم انته بعد ••• انا تعبت •

صانع الاقنعة : انت ممل جدا ولكنك مفيد • سنعطيك اسبوعا كاملا للراحة ••• حتى يوم الجمعة القادم •

رفعت الجلسة •

× المحاورة الخامسة ×

بتاح / حتب وحمورابى وشركاهم

قال رئيس الجلسة ، صانع الاقنعة ، للخواجة مالينوفسكى : ـ تفضل يا خواجة · قل كل ما عندك فى جلسة واحدة · هذه ليست أكاديمية ولا قاعة محاضرات ، انمامجردحوار فكرى ··· ثم ان بعض الاعضاء مستاء من تجديد اقامتك ، ويطالب باعادتك فورا الى وطنك بأول طائرة ·

مالينوفسكى : انا لا وطن لى · العالم كله وطنى · الستم تقولون فى بلادكم الجميلة : العلم لا وطن له ؟ أنا عالم : اذن لا وطن لى · انظروا الى اسمى : مالينوفسكى - أى روسى بولندى · ومع ذلك أقيم فى انجلترا وادرس فى جامعات انجلترا واطوف بجامعات العالم ·

ابن ماركوف : أبيض أو أحمر ؟

مالينوفسكى : لاابيض ولا احمر ، أنا من اللون الثالث

ابن ماركوف : وما هـذا اللـون الثالث ؟

مالينوفسكى : أنـا تكنوقراطى ، خبير من طبقة الفنيين كمـا تقولون فى بلادكم : خبير اجناس وعادات وتقاليد ، والتكنوقراطية ليس لهـا لون محـدد . هى تخـدم فى كـل نظام ، ، تماما مثـل البيروقراطية ، وتماما مثـل طبقة المديرين نحن مثـلا ندرس الاجناس أو نصنع الصواريخ أو تدعونـا البـلاد المختلفة لوضع التقارير عن مشاكل التضخم أو اختلال ميـزان المدفوعـات او آلانفجـارات السكانية أو التنميـة الصناعية ، نحن لا نسأل : ما لونكم ؟ راسمالى ؟ شيوعى ؟ ثيوقراطى ؟ سمخراطى ؟ جنبلاطى ؟ فلمـاذا تسألوننا عن لوننا ؟ نحن خبراء .

مجاهد بن الشماخ : خبراء تخريب .

مالينوفسكى : نعم هـذا صحيح . بعضنا فعـلا خبراء فى نسف المعتقدات الفاسدة ، على كل حال انـا لست منهم ، لو كنت منهـم لكانت مسـز مالينوفسكى تصيف فى دوفيـل وبياريتز ولاتوكيه بـدلا من ان تصيف فى برايتون وبلاكبول مع زوجات البقالين وموظفى البنوك . انـــا مجرد خبير اجناس وعادات وتقاليد ، اذا اردتم مثلا أن تعرفوا مـــا اصل عـادة الختان عندكم رغم عـدم النص عليهـا فى ديانتكم او لمـاذا تزورون المقابر رغم نهى ديانتكم عن زيارتها ، أو لماذا تقاومون دعـوة تحـديد النسل رغم انكم مهـــددون

بمجـاعة سنة ١٩٨٠ حيث سيبلغ تعـدادكم ٤٥ مليـونا . فانا فى خدمتكم ٠ كل ما اطلب هو عقـد عمل خمس سنوات قابلة للتجـديد لمـدة اقامتى ، انـا شخصيا من نـــــوع التكنوقراطية التى تصنع القنابل الذرية وسفن الفضـــاء وافكار السـلام وافكار الدمـار ولا يهمها من يستعملها أو لمـاذا يستعملها ، ضمير مهنى ، نعم ٠ امـا ضمير انسانى فـلا ٠ نحن خـدم ممتازون فى كل دولـة ٠ أو على الاصـح كنـا خـدما ممتازين حتى الحرب العالميـة الثانية ، فلمـا زاد عـددنا بتعقـد المدنيـة تكونت منـا طبقة لا تستطيع اى دولة الاستغناء عنها ، والشعار الان فى بلادنا : يـــــا تكنوقراطى العـالم اتحـدوا لتحكموا العـالم ، هناك طبعـا كلام فارغ كثير عن اخطارنا وضرورة الحـد من شوكتنا ، ولكن كل هـذه سخافات ، لانـه ليس لنـــا بـديل فى اى نظام ٠ انتم مثلا ، انـا اقمت بينكم اسبوعا واحـدا وعرفت للفـور ان عنـدكم مشـــكلة تجمـــع طبقى تكنوقراطى ــ بيروقراطى ــ ادارى لمكافحة تقـدم الاشتراكية فى بلادكم ، وهـذا مالوف ، ثم زواج مصلحة غير مألوف بين انتهازيـة اليمين وانتهازية اليسار ، انتـم بحاجة الى خبير أو خبـراء فى التنظيم الاجتماعى انـا ارشح لـكم صديقى البروفسور ٠٠

صانع الاقنعة : ما كل هـذا الاستطراد يا خواجـة ؟ انت جئت لتحدثنا عن حال المـراة الذهبية فى العصر الذهبى ،

فما كل هـذا اللغـو عن التكنوقراطية والبيروقراطية ؟ ٠٠٠ ادخل فى الموضوع والا فاسكت ٠

مجاهـد بن الشماخ : الم اقـل لـكم ان هـذا الاوروبى النجس لا يريد ان يعود الى بـلاده ؟ هل سمعتم ؟ انـــه بطلب عقـد عمل ٠٠٠ اطرده ٠

صانع الاقنعة : بالحسنى بالحسنى ٠

كاهن انوبيس : أنـا احتج على الخواجة مالينوفسكى اذا استمر فى الكلام ، هـو حدثنا عن حـالة المـراة الذهبية فيما قبل التاريخ ، وهـذا حقـه لانـه اختصاصى فى مجتمعات الفطرة الذهبية ٠ امـا ان يدخـل فى التاريخ فهذه اسـاءة لتاريخنا ولتاريخ الجنس البشرى ٠ اذا تكلم مالينوفسكى عن قدمـاء المصريين فسأنسحب ٠ لن أسمح ان يعامل قدمـاء المصريين معاملة البوشمان والهوتنتوت والاشانتى ٠ البينـا بمؤرخ ٠

مالينوفسكى : انتم فعـلا بحاجة لمؤرخ ٠ انى متعهـد توريـد حضـارات قديمة ووسيطة وحديثة ٠ انـا سـعيد يا سـادة بأنكم أصبحتم تميزون بين الانثروبولوجى والمؤرخ لابـد ان هـذا حـدث بعد ثـورة ١٩٥٢ ، فقـد كنـا أيـام فـؤاد وفاروق نرسل لكم السمكرى فتعينونه مديرا للمصانع والشاويش فتعينونه حكمدارا والمرابى فتعينونه مستشـارا ماليا ٠ انـا اعرف طبيبا بيطريا كان يـدرس الادب الانجليزى

بجامعة القاهرة ، على الاقل انتم تفضلون الآن الحواة لشغل المناصب الكبرى · والحواة ارقى بكثير من هذه الحثالة ٠ فحواة الثقافة يستطيعون ان يثبتوا لكم ان الشيخ زبير هو الذى كتب اعمال شكسبير وان عباس بن فرناس هو الذى بدأ فى غزو الفضاء وأن اللغة العربية اقدم من اللغة اليونانية وان ايخمان رسول من رسل القومية العربية وأن المسيح صلب ولم يصلب بحسب الظروف الدولية تماما مثل الحواة من كرادلة المجمع المسكونى ، وأن خوفو بنى الهرم لتنشيط السياحة وان ابا ذر الغفارى هو مؤسس المادية الجدلية وابن خلدون هو واضع الاشتراكية العلمية · وحواة الاقتصاد يثبتون لكم كل يوم بعلم السيمياء ان الرقم القياسى لنفقات المعيشة فى انخفاض مستمر وأن القاهرة أرخص بلد فى العالم وان نسبة نجاح الخطة الخمسية ٥٠٠٠٪ وان احتياطيات مصر من البترول تربو على كل احتياطيات العالم مجتمعة ، وانه انفع للاقتصاد القومى أن يبيع خريجو الجامعات الزائدون الدجاج فى الجمعيات التعاونية من ان يقوموا بمحو الامية ، وامهر هؤلاء الحواة جميعا هم من يستطيعون ان يثبتوا ان موارد مصر تستطيع اطعام سكان الصين الشعبية ، سأنسحب فورا أيها السادة · واشكركم على حسن الضيافة وحسن الاستماع · اذا اردتم مؤرخا ، فلماذا لا تدعون صديقى السير جيمس فريزر او هيكله العظمى على الاصح ؟

كـاهن اتوبيس : نحن نعـرف من ندعو يا خواجـة ٠

كل اساتذة جامعتنا يقولون : هاتوا روستوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : روستوف ٠٠٠ ايـه ؟

كاهن اتوبيس : روستوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : لمـاذا تختار هـذه الاسماء الصعبة ؟

كاهن اوتوبيس : انـا لا اختار ، هـذا احسن الموجود٠

مجاهد بن الشماخ : انـا معترض على دعوة هـــذا المبشر المسيحى الشيوعى الامريكى ، الا ترون ان اسمـــه شيوعى ؟

ابن ماركوف : موافقون ٠٠٠ اى : اوف ، او ايـــف اوافسكى او انسكى موضع ثقـة فى اى علم من العلوم ٠ مثلا منديليف حجـة فى الفلزات واللافلزات ودياجيليف حجـة فى الرقص ، وليونتييف حجـة فى الاقتصاد وزينوفييف حجـة فى المؤامرات كذلك بافلوف حجـة فى البيولوجيـا وتيتـوف حجـة فى غـزو الفضاء ومولوتوف حجـة فى السياسة الخارجية وجوكوف حجـة فى الحرب ورمسكى كورساكوف حجة فى شهر زاد وشرباتوف حجة فى الفلسفة وتوجان بارانوفســــكى وماياكوفسكى ، ثم لا تنسبوا ايضا من ينتهون بمقطع اين مثل بوخارين وجاجارين وباكونين وبورودين ٠ كلهم كلهم موضع ثقتنـا ٠

ابن سيركوف: لا • لا • روستوفتسيف امريكى من اصل روسى • ثم انه ليس شيوعيا •

ابن ماركوف : ولو •••

مجاهد بن الشماخ : بالضبط هذا يثبت ما قلته من انه جامع النقيضين : مبشر وشيوعى •

صانع الاقنعة : يبدو ان الاغلبية موافقة ، ولكن لغير الاسباب التى ابداها مجاهد بن الشماخ ••• ادباؤنا لم يسمعوا بعالم فى التاريخ القديم بعد شمبوليون وماسبيرو ومرييت لان هناك شوارع بأسمائهم حول الانتكخانة ، وبالاخص ماسبيرو الذى فيه التليفزيون العربى واذونات الصرف ، وعندما تشطب الحكومة اسماءهم وتسمى الشوارع شارع احمد باشا محرم وشارع سليم بك حسن وشارع كمال الملاخ فلن يعرف ادباؤنا احدا من هؤلاء الخواجات •••• القاعدة فى مصر : اسمى على شارع اذن فأنا موجود • سليمان باشا الفرنساوى مثلا الغينا شارعه فألغينا وجوده • هل توافقون على دعوة شمبوليون ؟

المعلم العاشر : ولكن معلوماته قديمة • ادع برستيد أو اليوت سميث أو فلندرز بيترى •

أصوات كثيرة : موافقون • موافقون • الدهن فى العتاقى

صانع الاقنعة : الاغلبية موافقة • أدخل يا شمبوليون

وهنا اختفى مالينوفسكى فى طرفة عين ، ودخل شمبوليون فى طرفة العين الاخرى ٠

شمبوليون : أنا مت منذ ١٣٠ سنة فلماذا تزعجوننى من قبرى ؟ ماذا تريدون ؟

صانع الاقنعة : متأسفين ٠٠٠ ولكن اردنا ان نعرف منك شيئا فى حال النساء فى العالم القديم لنقارنهن بنساء اليوم ٠ هناك بيننا من يقول ان نساء الزمان الغابر كن افضل من نساء اليوم ، ويطالب لذلك بالعودة للزمان الغابر انا انبه على جميع الحاضرين ٠٠٠ ممنوع المقاطعة ٠

شمبوليون : انا لا اعرف حكاية افضل واردأ هذه ٠ هذه احكام ، وانا لا اتعامل الا مع الحقائق فقط ٠

ابو الفتوح الصباح: يعنى ان نساء زمان كن اولا يقبلن حكم الرجال ولا يفكرن فى هذه السخافات التى يسمونها اليوم تحرير المراة ٠٠٠ وكن ثانيا اكثر عفة من نساء اليوم ٠

صانع الاقنعة : ممنوع التعليق ٠

شمبوليون : عفة ؟ هيء ٠٠٠ هيء ٠٠٠ هيء ٠٠٠ اين ؟ فى اليونان ؟ انت لا تقصد ان هيلانة طرواده وفيدرا وجوكاستا وميديا وكليتمنستراكن نماذج فريدة فى العفة ؟ الادب اليونانى والرومانى اكثره منسوج حول نساء خائنات او ضاريات ٠ فى مصر القديمة عندكم قصة زليخة امرأة

العـزيز تتردد كثيـرا فى الادب المصرى القـديم • مكـررة بحذافيرها فى قصة الاخوين وفى قصة المراة عاشقة الفتى الذى أكله التمساح المسحور وغيرها • أليس الادب مرآة الحياة ؟ أمـا فى بابل فهيرودوت قبـل نحـو ٥٠٠ ق•م (١٩٩/١) قال ان كل امراة فى بابل ، يعنى العـراق ، كانت قبل زواجهـا تذهب الى معبـد عشتروت ربـة الاخصاب وتسلم بكارتهـا لاحـد الغرباء ، اى غريب يأتى ويلقى فى حجرها قطعـة من النقود • طبعـا هـذه كانت طقوسا دينية • نـوع من النذر كما تسمونه هنـا ، لربة الاخصاب ، او قربانا تقـدمه المرأة لربـة الاخصاب ، وكان محرما عليها ان تجرب هـذه التجربة مرة ثانية بأى حال من الاحوال ، اذا كانت هـذه عفـة ، فـلا بأس ، لا بأس ، فى امريكا اليوم كثير من البنـات يقمن بهـذه الجراحة قبل الزواج عنـد الطبيب ، لاسباب صحيـة لا لاسباب دينية • تعـددت الاسباب والفعـل واحـد •

ابو الفتوح الصباح : اعـوذ باللـه أعوذ باللـه •

شمبوليون : اما حكاية خضوع المرأة لولايـة الرجل فى العالم القديم فهى صحيحة بوجـه عام : صحيحة بين اليونان صحيحة بين الرومـان • المجتمـع الوحيـد الـذى شـذ عن هـذه القاعـدة هو المجتمع المصرى القديم •

فى معلوماتى القليلة عن تاريخ الشرق القديم ان مصر هى التى ابتدعت حركة تحرير المراة • مثلا فى برديـة آنى

(نحو ١٣٠٠ ق٠م٠) ما يثبت ان الزوج المثالى فى مصر القديمة هو الذى كان يغسل الصحون مع زوجته ويقشر معها البطاطس مثل الزوج الامريكى ، ويعاملها معاملة الند . فلا يستعمل معها « المريسه » ، آنى ، حكيم الدولة الحديثة ، يضع للازواج القواعد الذهبية للزواج السعيد فيقول :

« لا تمثل دور الرئيس مع زوجتك فى بيتها اذا كانت ماهرة فى عملها ، ولا تسألها عن شىء اين موضعه اذا كانت قد وضعته فى مكانه الملائم ٠

« واجعل عينيك تلاحظان فى صمت حتى يمكنك ان تعرف اعمالها الحسنة » ٠

« وانها لتكون سعيدة اذا كانت يدك معها تعاونها ٠٠»

ففى عصركم الذهبى اذن كان الرجل الذهبى مربوطا عند المراة الذهبية ٠ وكانت المراة المصرية تسمى « نبت بر » اى « ست الدار » أو « ست البيت » ، ولكن النقوش والنصوص المصرية القديمة تثبت أن سيادتها تجاوزت مملكة البيت ، او على الاصح جمهورية البيت الديمقراطية الشعبية ٠ فكانت تزرع وتقلع وتخرج الى المدرسة والى السوق وتتاجر وتزاول مختلف الحرف من الصناعة الى الصيد وتتسكع فى الطرقات بلا حارس او شابيرون او رقيب وكانت طبعا سافرة ٠ وقد استخلص بعض المؤرخين من

ادب الغرام فى مصرالقديمة ان المرأة هى التى كانت تخطب الرجل ··· على اى حال فى كل تاريخ بابل واشور لا نسمع الا عن اسم ملكة واحدة حكمت فى الرجال هى سميراميس ، مؤسسة مدينة بابل وبانية الحدائق المعلقة المشهورة · اعتقد انكم فى القاهرة اقمتم فندقا لتخليد ذكراها ، وفى أعلاه روف جاردن لتخليد ذكرى الحدائق المعلقة · أما فى مصر فقد حكمت ملكات كثيرات ، وكن ذوات سطوة عظيمة : احيانا بمفردهن واحيانا مع ازواجهن · احيانا بقوة القانون واحيانا بقوة الواقع · خذوا مثلا نايت حتب زوجة مينا ومريت نايت زوجة أوسافايس وحتشبسوت اخت تحتمس الثالث وتاى ونفرتيتى ونفرتارى ونيوتوكريس وكليوبترا ·

خولة المايسطرية : لا تنس شجرة الدر يا خواجة شمبانيا ·

شمبوليون : بالضبط · بالضبط · وحتى بعد انتشار اديان التوحيد كان عندكم هيلانة المصرية امبراطورة بيزنطة وأم الامبراطور قسطنطين ، وكذلك ست الملك وشجرة الدر ولو اننا نظرنا فى كل حضارات العالم القديم لما وجدنا شعبا سلم ذقنه للنساء الملكات قبل الشعب المصرى · مجرد الاحصاء يكفى · طبعا هذا لا يدل على الضعف لانكم لاشك كنتم تضربون نساءكم عند الضرورة كما كنا نحن

نفعل منذ قرون · ولكن هذه مسالة أخرى · انما يدل هذا على ان المراة عندكم حصلت على حقوقها السياسية من اقدم العصور · فلماذا تشتكون ؟ ثم ان ملكاتكم عرف عنهن انهن نساء جميلات طامحات بارعات فيفنون الحب والحرب والسلام ، كما كن ماهرات فى الدسائس لحسابهن الخاص ولحساب الدولة · ونحو عام ١٥٠٠ ق٠م٠ استشرى نفوذ النساء عندكم واضمحل نفوذ الرجال لدرجة ان كثيرين من الملوك تحولوا الى مجردامراء يحملون لقب « زوج الملكه » على طريقة دوق ادنبره الآن فى انجلترا · وطبعا هذا الاسراف فى تحرير المراة ، ككل اسراف · كان له رد فعل شديد ضد حكم النساء ، فقامت حركة بقيادة الجيش لاقصائهن عن الحكم ، وتبلورت هذه الحركة فى النزاع المشهور بين تحتمس الثالث واخته حتشبسوت · ولكن المراة المصرية مع ذلك لم تيأس · فبعد ان ضاع سلطانها فى القصر حكمت مصر من المعبد ، ونحو القرن ٨ ق٠م٠ اى فى الاسرة ٢٣ ، اصبحت احدى الاميرات رئيسة الكهنة بمعبد آمون فى طيبة ، وكانت تستشار او على الاصح تستخار بالعرافة ، فقد كان الاله آمون يتكلم من فمها وينطق بلسانها ، قبل اتخاذ اى قرار سياسى خطير · ولم يكن مسموحا لها أن تتزوج الا من الاله آمون ، ولكن سمح لها أن تتبنى بنتا صغيرة تدربها لتخلفها فى وظيفتها · وبذلك أصبح

معبـد آمون مقرا لحكومة غير رسمية فى الاقصر استمرت أكثر من ٢٠٠ سنة حتى غزا الفرس مصر ٠

والمراة المصرية لم يقف نفوذهـا عنـد السياسة بـل بذلت سيطرتها فى البيت أيضـا ، لدرجـة ان الرحـالة اليونان دهشوا من حرية المرأة المصرية واستفحال سلطانها ٠ ديودور الصـقلى مثلا كتب ان طاعـة الزوج لزوجته كانت من الشروط التى ينص عليهـا فى عقود الزواج فى مصر ٠ ولكن الارجح ان هـذه كانت نكتة يونانية سمجة عن المصريـين كالنـكت التى يطلقهـا عنـدكم البحـاروة عن الصـعايدة والصعايـدة عن البحاروة ، وصديقى العلامة فلنـدرز بيترى فى القرن ٢٠ كتب ان « الزوج حتى فى العهود المتأخرة كان ينزل لزوجته فى عقـد زواجه عن جميع املاكه ومكاسبـه المستقبلة » يعنى المثل عنـدكم فى مصر القديمة كان زواج وخراب ديار ٠ على العموم أى انسان معـذور اذا استخلص هـذه الصورة عن الحياة الزوجية فى مصر القديمة ، حين يقرأ فى قصيدة غرامية كـلام البنت وهى تقول للولـد :

« يـا صديقى الجميل ! انى ارغب ان اكون صاحبة كل املاكك ، بوصفى زوجتك » ٠ فهـو بمثابة قولها : « خدنى فى احضـانك لانشل محفظتك » ٠ طريقة غريبة فى الغـرام ، ولكنهـا على الاقـل تـدل على صراحـة نساء العصر الذهبى عنـدكم ٠ نساؤنـا اليوم يفعلن هـذا ولكن بالحداقة ٠ وفى

المتحف المصرى عقد زواج من سنة ٢٣١ ق٠م٠ بين رجل اسمه امحوتب وبنت اسمها تاحاتر نصه :

« يقول امحوتب لتاحاتر » : « لقد اتخذتك زوجة ، وللاطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك ٠ وما سأحصل عليه الاطفال الذين تلدينهم لى يكونون أطفالى ولن يكون فى مقدورى ان اسلب منهم أى شىء مطلقا لاعطيه الى آخر من ابنائى ٠ أو الى اى شخص فى الدنيا ٠ ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهريا وسنويا ، وسأعطيه لك اينما اردت » ٠ (غالبا يقصد سواء فى بيتى أو بيت أبيك او ربما فى المعمورة اثناء الصيف) ، واذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة واذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة (وهذا اما رشوة لها لتبقى معه أو اعتراف بأن التعذيب العقلى افظع من التشريد) ؛ ويقول آبى : « تناولى عقد الزواج من يد ابنى كى يعمل بكل كلمة فيه ٠٠٠ انى موافق على ذلك » ٠ .

ثم يلى ذلك توقيعات ١٦ شاهدا على العقد ٠ والعقد معقول لانه يعطى كل شىء للاولاد وليس لتاحاتر نفسها ، ومصادرة كل أملاك امحوتب لحساب أولاده من تاحاتر ليس له الا معنى واحد فى مجتمع كان يسمح بتعدد الزوجات : ان تاحاتر هى الزوجة « الشرعيه » الوحيدة ، وكل من سيأتى بعدها يدخل فى باب « المحظيات » وهى انجح طريقة للحد

من تعـدد الزوجات ولمنـع تفتيت املاك الاسرة ، وهـــذا مـا جعل الطلاق نـادرا فى مصر القديمة ، الا فى عصور الانحطاط وكان للمرأة حق طلب الطلاق تماما مثـل الرجل حتى جـــاء اليونـان بافكارهم الاوروبية الرجعية وقصروا حق اطلاق على الرجل ايام البطالسة ٠ ٠ أمـا تعـدد الزوجات فلم يكـن معروفا الا فى الطبقات الموسرة ٠ وكان ابناء الشعب يكتفـون بزوجـه واحـدة ، غالبا لضيق ذات اليـد ٠ وقـد اكتشفت المرأة المصرية الحـديثة هـذا السر ، وهـذا هو السبب فى أنهـا تنتف دائما ريش زوجها أولا بأول حتى لا يطيـر من عش الزوجية ٠ ومع ذلك لم يفكر أحـد منكم أن هذا يؤثـر فى اقتصـادكم القومى ، على كل حال ، واضح من الادب المصرى القـديم ان المصرى كان رومانتيكيا وواقعيا وكلاسيكيا ورمزيا معـا فى فكرته عن المرأة وفى معاملته لهـا ٠ اما اللامعقول فـلم يظهر عنـدكم الا فى الالف سنة التى حكمها الترك والمماليك ، خـذوا مثلا بتاح حتب ، حكيم الدولة القديمة (٢٥٠٠ ق٠م) وهو يحض ابنـه على الزواج ويسلمه مفتاح السـعادة الزوجيـة ٠

« أحب زوجتك فى البيت كما يليق بهـا واملأ بطنها واكس ظهرها » ٠

« واعـلم أن الدهون العطرة عـلاج لاعضائها ٠

« أسعـد قلبها مادامت حيـة ٠

« لانهـا حقـل طيب لاولادها ...

« وان عارضتها كان فى ذلك خرابك ...

امـا وصايا الحكماء فى احترام المراة كأم فنجـدها فى بردية بولاق حيث يوصى الحكيم الابن باحترام امـه للاسباب البيولوجية المعروفة ثم يضيف :

« ولما دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقف فى كل يوم الى جانب معلمك ومعها الخبز والبيرة جـاءت بهما من البيت » .

والاغلب ان الخبز والبيرة هنا للمعلم لا التلميذ . على كل حـال الوصف رومانتيكى ويجعل الانسان يتمنى لو كان معلما فى مصر القديمة يشرب البيرة بين الحصص . فاذا كانت ام تاتى للمعلم يوميا برغيف وزجاجة استيلا كان هـذا اجدى على المعلمين من مرتبات وزارة التربية والتعليم ، الا توافقوننى على ان هـذا كان عصرا ذهبيـا للنساء والمعلمين ؟

الماركسية المسخسخة : كيف تقـول انـه كان عصرا ذهبيا للنساء وانت تعلم ان القانون المصرى القديم كان يبيح امتلاك الامـاء .

شمبوليون : وامتلاك العبيد ايضا . امتـلاك البشر للبشر مسالة اخـرى . والحقيقة أن الحـالة تحسنت بعـد سنة ٢٠٠٠ ق.م. تقريبا بتعديل قوانين الاحوال الشخصية فى مصر القديمة . فقبل هـذا التاريخ كان « الزواج » مجرد

الزواج بالمعنى القانونى اى الزواج بعقد ، امتيازا تتمتع به الطبقات الممتازة وحدها ، أما ابناء الشعب فكانوا يتزوجون بلا عقود · فثارت ثورة شعبية كبرى نحو ٢٠٠٠ ق·م· وكان المتظاهرون من العمال والفلاحين والحرافيش يرفعون اللافتات ويهتفون : « القطط والقرود تتزوج بلا عقود ! » « تحيا عقود الزواج ! » « نريد عقود زواج ! » واذعنت الطبقة الحاكمة فأعطت لابناء الشعب حق الزواج بعقود · ويقول بعض المؤرخين ان البروليتاريا المصرية لم تنتفع كثيرا من هذه العقود لان العقود تنظم الملكية والبروليتاريا بلا ملكية · ولكن ثابت من الوثائق ان هذه الثورة أعطت الفقراء الحق فى ان تكون لهم « مقابر أسرة » ، تقيمفيها الاسرة شعائر الموتى ، وبهذا وحده امكن الموتى الفقراء دخول العالم الآخر بحسب معتقدات قدماء المصريين ، كانت البروليتاريا المصرية محرومة من خلود الروح قبل هذه الثورة · وبذلك تكون هذه الثورة ثورة ديمقراطية عظمى ، لانها انقذت البروليتاريا المصرية من مصير القطط والكلاب عند الموت وسوت بين جميع المواطنين فى حق الخلود ، وهذا ما نسميه منذ ظهور اديان التوحيد المساواة امام الله ، تصوروا : حتى هذا كان بحاجة الى ثورة واعلان حقوق الانسان ، وبديهى انه من ليس له أسرة فلا يمكن ان تكون له قبور اسرة ، وبالتالى لا يمكن

الصلاة عليه وتقديم الرحمة أو القرابين على روحه ، فمصيره اذن مصير القطط والكلاب · وعندكم حتى الآن ان كل من يخرج من مشرحة القصر العينى ولا تظهر له اسرة يكون مصيره مصير القطط والكلاب ، رغم ان عندكم جمعيات للرفق بالحيوان وجمعيات خيرية للرفق بالبشر · وهذا هو سبب ارتعاد الفقراء عندكم من الموت فى القصر العينى ·

أظن أن صديقى مالينوفسكى شرح لكم سبب استماتة فقرائكم فى زيارة المقابر رغم انكم لا تكفون عن ترديد انها مكروهة فى الاسلام وغير منصوص عليها فى المسيحية ، انهم فى سنة ٢٠٠٠ ميلادية يحافظون على مكاسب ثورة ٢٠٠٠ ق·م· فاذا كانوا لا يصيبون المساواة على الارض فلا اقل من أن يصيبوها فى السماء · طبعا هذه بقايا وثنية بينكم ،ولكنكم لستم وحدكم فى هذا ، فالعالم المسيحى ايضا يرتعد مثلكم من مصير القطط والكلاب ، هل رايتم الآن فائدة نظام الاسرة ؟

والمراة المصريه طبعا لم تحصل على حقوقها السياسية الا بعد ان حصلت على حقوقها المدنية ، ولم تحصل على حقوقها المدنية الا بعد أن حصلت على حقوقها الشخصية ، مثلا كانت البنت ترث بالضبط مثل نصيب الولد وكانت المراة تتصرف فى أملاكها بالضبط كما يتصرف الرجل · عندكم مثلا وثيقة من الاسرة الثالثة

توصى فيهـا سيدة اسمها نبس ـ سمحت بأطيانها لأبنائها وفى قانون العقوبات وقوانين الاحوال الشخصية كانت المرأة مساوية للرجل تماما ٠ كانت عقوبة الخيانة الزوجية هى الاعـدام لاى طـرف من الاطراف : الـزوج او الزوجـة أو العشيق أو العشيقة ٠ عقوبة قاسية طبعا ، ولكنهـا تقوم على المساواة على الاقـل ، وفى هـذا بعض العزاء للجنس اللطيف ويبـدو ان المصريين كانوا ينظرون للخيـانه الزوجية نظرتنا الآن للخيانة الوطنية ويعتبرونها ام الكبائر ، مثلا فى بردية آنى ، حـكيم الدولة الحديثـة ، يقول آنى عن الزنـا : « ان ذلك لجرم عظيم يستحق الاعـدام عندما يرتكبه الانسان ثـم يعلم بذلك الملا (يعنى تعم الفضيحة) ، لان الانسـان يسـهل عليه بعـد ارتكاب تلك الخطيئة ان يرتكب أى ذنب » وانى الحكيم فى مكان آخـر من البردية ، يحـذر الرجـل من شباك المراة المحرومة : « ان المرأة البعيـدة عن زوجها تقول لك كل يـوم : انى جميلة ! عندمـا لا يكون لديها شـهود (يعنى عنـدما تنفرد بـك تبـدى محاسنهـا وتغمـز فى اغراء) ، وهى تقف وتلقى الشباك ٠٠٠ ما اشـدها خطيئـة تستحق المـوت اذا استمع اليها الانسان ٠ » وآنى فى الحالين يخاطب الـذكور لا الانـاث ، فكان سقوط الرجل مـع امراة متزوجـة كانت عقوبته اعـدام الرجل ٠ وآنى فى الحقيقـة يخاطب العزاب ، لان برديته موجهـة الى شاب اعزب يحضه

فيهـا على الزواج ويشرح قوانين الحياة الزوجيـــة ، فكانت عقوبة الاعزب على الزنـا مع محصنة هى الاعـدام ، فما بالك بعقوبة الرجل المتزوج ! لابـد انهم كانوا يعلقونه من اذنيه وعلى العموم نص القانون فى مصر القديمة على ان الزوجـــة الزانية تفقـد حقها فى مؤخر الصـداق حين تطـلق ، وهـذا يـدل على ان توقيع عقوبة الاعـدام كان لا يمارس الا بشروط معينـة كالتلبس واصرار المجنى عليه وربما شروط اخرى .

وكان الاعـدام المفضل عنـد المصريين القـدماء هـو بالالقـاء الى التماسيح وليس بالقـاء الطوب ، وأذا اردتـم احيـاء هـذه العقوبة الذهبية فيمكنكم ، نظرا لعـدم وجود تماسيح فى النيل ، أن تستعيضوا عن ذلك بالقـاء الزنـاة للاسود فى السيرك القومى الـذى تنشئه الآن وزارة الثقافة واذا اردتم طريقه افعـل فى النهش والتمزيق فاحكموا عـــلى الزناة بالاقامة ٢٤ ساعة متواصلة فى مسرح الحكيم أو فى كافتيريا سميراميس أو فى قهـوة ريش بين الادبـاء والفنانين والصحفيين وستكون النتيجـة محققة : لن يميز احـد لحمه من عظمـه .

انـا شخصيا لا احب التماسيح ، وافضل تكثير العقوبة البابلية فى اعـدام الزناة ، فهى طريقة رومانتيكية جـدا ، ويا حبـذا لو اخـذ بهـا المشرع الحديث لانهـا ستجعـــل موضوع الخيانةالزوجية الموضوع المفضل عنـد الفنانـــين

التشكيليين وترفع مستوى الروايات التى تكتب حول هذا الموضوع ، فى قوانين حمورابى (نحـــو ٢٠٠٠ ق٠م) ، فى حـالة التلبس ، التلبس فقـط ، كانت العقوبة هى الاعـدام غرقا ، كان يلقى بالمرأة وعشيقها معـا مقيدين فى دجلــــة أو الفرات ، ليعبرا النهر ٠ فاذا نجوا كان معنى هـــذا ان الالـه حكم بالبراءة ٠ واذا غرقا نزل بهما العقاب المنصوص عليه فى القانون ٠ ولـم تكن هنـاك الا ثغرات قليلة فى هـذا القانون ! مثلا الابرياء الـذين لا يجيدون السباحة ٠ وهـــو لم يحسب أيضـا حساب نجـاة المراة مثلا وغرق الرجل او العكس ، ربما كان المفهوم ضمنا هـو أدائه الغريق بالزنـا مع مجهول ، يعرفه الاله ولا يعرفه الناس . وفى هـــذه الحالة تستريح ضمائر البشر والآلهـة ، ويعود كل الى المــــدينة ليبحث عن خيـانة زوجيـة جـديدة ٠ فلا شـك ان هـــذه كانت تسلية يومية جميله ، وهى أرقى بكثير من مبـاريات كرة القـدم ، وهى لعبـة جاءكم بهـا الاستعمار البريطانى ، على الاقـل هــذه تسلية عربية ، وطبعا فى بابـل القديمة كان ينبغى على كل دون جـوان وكل خائنة ، اذا ارادا ان يفلتـا من الموت ، ان يكونـا من ابطال السباحة ، ولا سيما سباحة المسافات الطويلة ٠ ابو هيف مثلا وحنفى محمـــود ونبيل الشاذلى كانوا يستطيعون ان يفعلوا مابـدا لهم فى نينوى أو حتى فى منفيس ثم يخرجوا السنتهم للقـــــاضى

وللعسس . فمن عبر المانش او اونتاريو او لوجانو سينظر دائما فى ازدراء الى المسافة من ميت رهينة الى البدرشين . المؤكد ان احياء هذا القانون سيشجع الرياضة بينكم ، فاذا لم يقض على الخيانة الزوجية عندكم فهو لا شك سيجعل منكم ابطال العالم فى سباحة المسافات .

المهم انه حتى فى بابل تساوت العقوبة على الزنا ، ولكن للاسف بعد نحو ١٢٠٠ سنة من حمورابى ضاعت الرومانتيكية من بين النهرين أو « نهرينا » كما كانوا يسمونها . ففى الدولة الاشورية صاروا فى العراق وسوريا يجدعون انف الزوجة الزانية ويخصون عشيقها ويقطعون آذان الوسطاء فى الخيانات الزوجية . وحيث يرى الدم يطير الخيال .

اما الزوج الخائن فى بابل القديمة فلم يكن نصيبه الاعدام . ومن هذا ترون أن مصر القديمة كانت اقرب لفكرة المساواة من بابل القديمة . غير ان قوانين بابل القديمة كانت اكثر عصرية . فعقوبة الزوج الخائن فيها كانت مدنية لا جنائية . كان عليه ان يدفع لزوجته تعويضا ماليا عن خيانته اذا ارادت ، وهى طريقة عصرية لطيفة يمارسها كثير من الازواج فى اوروبا دون حاجة الى قوانين تنظمها . واعتقد انها تمارس ايضا فى مصر الحديثة . فالزوج الاوروبى كلما اراد أن يخون زوجته غمرها

بالهـدايا : بالمجوهرات ، بالملابس ، بالسيارات ، بالفسح وكلما زادت الهـدايا بعـد الزواج كان ذلك علامة سيئة · على كل حـال هـذا هـو المقابل العصرى للتعويض البابلى · أمـا فى مصر القديمة فالـذى كان يأخـذ التعويض هو التمساح ·· لا الزوجـة ·

وحتى فى بابل كانت المراة شريكة للزوج لا أمة لـه · وقـد بلغ من اهتمام حمورابى بحماية الاسرة ان قوانينـه فيهـا ٦٤ مـادة لتنظيم الاسرة من ٢٥٢ مـادة ، أى ربـع قوانين الـدولة · طبعـا الـدولة ايامهـا لم تكن معقـدة كما هى اليوم ··· على كل حـال حمورابى اعتبر اساس الاسرة هـو « الزواج الاول » ، اى ان كل مـا بعـده فشوش · طبعا التسرى كان جائزاً ، ولكن الزوج كان من حقـه ان «يتزوج» شرعـا للمرة الثانية مع الاحتفاظ بزوجته الاولى فى حـالة واحـدة فقط ، وهى عقم الزوجـة ، وحتى فى هـذه الحالة اشترط حمورابى ان تغسلالزوجـة الثانية قـدمى الزوجـة الاولى رمزا لانهـا زوجـة سكوندو ، وكان لا يجوز لرجل ان يحتفظ بزوجتين فى وقت واحـد الا بموافقة المحكمة ·

أمـا الطلاق لسـوء السلوك فكان ممكنـا للزوج والزوجة على قـدم المساواة على طريقتكم الشفوية اذا لـم يكـن هنـاك التزامات مالية ، أمـا اذا أرادت الزوجـة ان تسترد مهرها ، فهى التى كانت تقـدم المهر ، وان بسمح لهـا بالزواج

مرة ثانية . فكان يتحتم عليها الحصول على موافقة المحكمة فاذا رمى الزوج على زوجته يمين الطلاق كان مهرها من حقها وتحتم عليه الانفاق على الاطفال • قوانين عصرية اخذنا بها نحن فى بلادنا بعد ٤٠٠٠ سنة ، باستثناء حكاية الطلاق الشفوى هذه • فنحن نفضل التهاتر فى المحاكم لانه مسل للجيران والمعارف وقراء الصحف ، ونقدم مسرحياتنا الزوجية بالمجان للمتفرجين • على كل حال هذا عندنا افضل من ان يؤلف كل متفرج مسرحية عنا وينسبها لنا ، وهى غالبا ما تكون مسرحيات رديئة • ثم اننا وجدنا ان العروض الخاصة أمام الحموات والاخوال والاعمام فقط تخلط الشخصيات فتجعل من البطل وغدا ومن الوغد بطلا ، وكثيرا ما تحول التراجيديا الى كوميديا والكوميديا الى تراجيديا ••• واكثر من هذا فهى تضيع الحقوق •

والحقيقة انه لم يستوقفنى قانون من قوانين حمورابى مثل القانون الذى يبيح للزوج رهن زوجته وأولاده لمدة اقصاها ثلاث سنوات بموافقة المحكمة لضمان الدين • هذا كان حقا قمة العصر الذهبى • ولكن للاسف بعد ألف وخمسمائة سنة من حمورابى فسدت أخلاق البابليين فأطالوا مدة الرهن وتحول رهن الزوجات والاولاد الى نوع متخصص من تجارة الرقيق الابيض والاسمر • ولولا حماقة

هؤلاء الاسلاف لامكننى ان اقترض على مـدام شـــمبوليون مبلغا كبيرا من بنك الكريدى ليونيه واقوم برحلة بحرية جميلة حول العالم قبل ان تـدركنى الوفاة ٠

والآن يا سيدى الرئيس ، والآن يا أصدقائى الاعزاء ، استودعكم اللــه لا عود الى قبرى واكفانى الذهبية واستأنف احــلامى الذهبية عن بــلادكم الذهبية التى قضيت كل عمرى ابحث فى احوالهــا الـذعبية وتاريخهــا الـذهبى وافـك فى نقوشها الذهبية : لا تقولوا وداعــا ، بــل قولوا الى اللقاء ٠

وهكــذا تركنــا الخواجة شمبوليون فجأة بهذه النغمــة الحزينة ، وشيعه صانع الاقنعــة بنظرة ساهمة ثــم نهض وانصرف ، وقــد نسى حتى ان يقول : « رفعت الجلسة » ٠٠ فعرفنــا ان الجلسة لا تزال مستمرة عن الحضارات القديمة ٠

× المحاورة السادسة ×

افروديت الذهبيـــة

قال صانع الاقنعة لحاجبالجلسة ، وكان يـدلله باسم الشمعدان المنطفىء لكثرة مـا احرق من شموع فى حياته :

ــ انظر يا شمعدان من ذا الـذى يطرق الباب ٠

قال الشمعدان المنطفىء فى ادب جم :

ــ انه يا سيدى ، الخواجة روسوفتسيف ٠

صانع الاقنعة : سله لمـاذا جـاء ٠

الشمعدان المنطفىء : انـه يقول انـه سمع اسمه يتردد كثيرا فى الجلسة المـاضية فحسب انكم بحاجة اليـه ٠

صانع الاقنعة : ولكننـا لم نـدعه ٠٠ اطلب منـه ان ينصرف ٠

الشمعدان المنطفىء : انـه يصر على الدخول يا سيدى ، ويقول اننـا شتمناه ومن حقـه ان يـدافع عن نفسه . ثـم انـه يقول انـه لم يحاضر ابـدا فى العـلم منـذ أن مات فى

١٩٥٠ أو ١٩٥١ ..فاذا رفضتم ادخاله فهو يطالبكم بتعويض لانــه كأى استاذ جامعى عنــده شهوة الكلام وانتم حرمتموه منها • وهو قــد تخلى •ن تابوته من اجلكم وضيع اكفانه فى الطريق الينا •

صانع الاقنعة : إنـا لا ارى خطرا من دعـوة الخبـراء الاجانب الاموات ، روستوفتسيف بشهادة الجميع أكبر حجة فى العـالم القديم ، هل توافقون على دخوله ؟

أصـوات : لا مانع • لا مانع •

صانع الاقنعة : تفضل يا خواجه رستوف ••• مـــع السلامة يا مسيو شمبوليون • سلم على بونابرت •

روستوفتسيف : فى خـــــدمتكم • اى شىء عن مصر القـديمة • بابل ، أشور • اليونـان •الرومان •

صانع الاقنعة : لا • مصر القديمة فرغنا منهـا • تكلم عن اليونــان والرومــان •

روستوفتسيف : سيداتى ، سادتى •

علىالزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك : قبل ان يبـــدأ الخواجة عنــدى نقطة نظـام •

صانع الاقنعة : ماذا تريد ؟

علىالزيبق الجوكي : منــذ ان نشرت محاضر جلساتنا السابقة وكل الناس تعتقد انى الايديولوجى الفهلوى ، بينما اسمى عندكم هــو على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك •

وهـــذا يسبب لى مضايقات شـديدة فى كل مكان ٠ انـــا اطلب نشر تصحيح فى الاهرام ٠ أو تغيير هـذا القناع الردىء الـذى صنعه لى المعلم العاشر ٠

صانع الاقنعة : ما قولك يا معـلم يا عاشر ٠

المعلم العاشر : النـاس على حق فى هـذا الالتبـاس لان صـفة الايديولوجية الفهلوية أوضح فيه منها فى زميله ، ولكن هذا لمجـرد أنه اكثر منه جلبة لا لانه اكثـر فهلوية ٠ هـو مثلا يستطيع تنظير اى رغبـة أو مصلحة أو سـياسة أو موقف أو عمل أو فشل أو نجاح ويربطه بحتمية الحـل الاشتراكى وبقوانين الجـدلية المجيدة الملتحمة مع الواقـع الجزئى المترابط مع الواقع الكلى فى اطـار من الوعى التاريخى الصاعد ، وكذلك بالتطبيقات المرحلية الفهلوية للاشتراكيـة العربية المجيدة ٠

على الزيبق الجوكى : انـا احتج ٠ هـذه لغـة ابن سير كوف لا لغتى ٠

المعلم العاشر : لا ٠ انت مخطىء ٠ لغـة ابن سيركوف هـى : ألاستغلاق الاستيطانى الحاصل من تداخـل الـذات والموضوع فى مقولات هوسرل وبراديبق الانحرافية اللامتفائلة بمصير الجنس البشرى ٠ هـل تريد المزيـد ؟

صانع الاقنعة : كفى ٠ ولـماذا سميته اذن بعلى الزيبق الجوكى ؟

المعلم العاشر : لانــه الوحيــد بين كتاب مصر الــذى يعرف جوادا أصيلا اذا راى جوادا أصيلا ثم يحــاول ركوبه لا مجرد التمتع بالنظر اليــه ، وهو الوحيد الــذى درب نفسه بنفسه على لعبــة السرك التى يركب فيها الجوكى على اربعة جياد فى وقت واحــد ويضرب بالانس على ظهورها الاربعه • وهو يفعل مثل هــذا فى السباق ، والجميل فى الموضوع ان كل جواد منها يعرف ان على الزيبق جوكى للجياد الاخرى أيضــا ، فيفكر لحظــة فى أن يطرحه أرضا ويعضه ويرفسه ، ولكنــه لا يلبث ان يغمره السرور لهــذه اللعبــة اللطيفـــة فيحمله مبتهجــا ويلعقه • لهــذا سميته بالجوكى • امــــا الايديولوجية الفهلوية فصفة يشاركه فيها الكثيرون •

صانع الاقنعة : ولمــاذا على الزيبق ؟

المعلم العاشر : لان على الزيبق هــو زعيم جماعـــــة الشطار الظرفاء فى تاريخ الادب العربى ، وعلى الزيبق الجوكى باتفاق الكل سمباتيك الى اقصى حــد • وهو مثل سميه على الزيبق يعرف كيف يخرج من كل مازق ، انــا شخصـــــيا استلطفه • ولو كنت جوادا لاعطيته ظهرى ليعتليه • لكنـــه للاسف لا يرى فى الا حمارا كبيرا ، ويستشهد على ذلـــــك بعنــادى الشديد ويقول : يــا عبيط انت تتصـــور الكون بالمطلقات على طريقة نيوتن • كل شىء عنــدك يسير بالتصور الذاتى ، بينما الحقيقة أن كل شىء يسير بالنقائض والاضداد والمراحل الجدلية • فاذا افترضنا ان الحياة سباق • والحياة

سباق فعلا ، فالسباق مراحل ، والمهم فى الحيـــاة ان تكون جوادا كريما • فاذا لم تستطع ان تكون جوادا نكن جوكيـــا على اقــل تقدير • والمهم فى الحياة ان يتفاعل كل جوكى مع جواده حتى يقطع بـــه المرحلة • والتفاعل سهل • اســـهل مـــا يكون • اعط الجواد قطعة من السكر يتفاعل معك ويقهقة ضاحكا ويجرى بك الى آخر الشوط ، او الى آخر المرحلة • المهـم أن يجرى بك ولو مرحلة واحـدة • فكل مرحلة تقطع توضح الرؤية لانهـا تقربك من الهـدف • امـــا انت فلن تـدخل سباقا ابـدا لانك تصر على البرسيم ، والبرســـيم يجعل اذنيك طويلتين ، ولطول اذنيك لا يرى الناس انـــك جواد مع انك بالفعل جواد ، واعتقـد ان كثرة اكل البرسيم قـد احـدثت فيك تغييرا عضويا فجعلتك لا تصلح لشىء الا حمل الاثقال : مرحلة متوسطة بين البغل والحمار • جـرب السكر بـدلا من البرسيم وترقب النتيجة • وكنت دائمـــا اجيبه : خل نصائحك لنفسك ، فأنت اخيب جوكى فى الوجود برغم كل مـا تعطيه من السكر لكل الجياد • أمـا حكـــاية الزنبرك فهى مجرد تكرار لنفس المعنى الموجود فى على الزيبق : تعنى الروغان وصعوبة الاحتواء • واحـدة منهما تكفى • اذا كان قنـــاعى لا يعجبه فاصنع لـــه قنـــاعا •

السندباد الجديد : انتم تضيعون الوقت فى المهاترات • نحن جئنـــا لنناقش الرجعية والتقدمية • ارجئوا حكـــاية الاقنعة وتكلموا فيما يفيد •

روستوفتسيف : هل ابـدأ يـا سيدى الرئيس ؟

صانع الاقنعة : ابـدأ • ولكن اياك ان تحـــرج عن الموضوع ، الموضوع باختصار هـو : كيف كانت المراة فى عصرها الذهبى أيام اليونان والرومان •

روستوفتسيف : هل اتكلم بصراحة ؟

صانع الاقنعة : هل انت خائف من شيء ؟

روستوفتسيف : نعم • مسز روستوفتسيف لا تـزال على قيـد الحياة • ســـتنقطع عن زيـارة قبرى اذا تكلمت بصراحــة •

صانع الاقنعة : هـذا سبب ادعى للصراحة ، لانهـا لـو كانت معك لجعلت حياتك ••• اقصد موتك • جحيما •

روستوفتسيف : هـذا كان عصر طين وقطران وليس عصرا ذاهبيا • من ناحية الاخلاق ؟ عكس ما يتصور تمامـــا المسيو صباخ • تصوروا ان اكثر ملوك اليونان العظماء كانوا بقرون • الملك منيلاوس مثـلا استضـاف الامير الجميـل باريس ابن ملك طروادة فهرب بزوجته هيلانة • لكن هنـاك شيئا يحيرنا نحن المؤرخين : وهو كيف يقيم اليونان حـرب طروادة المهـولة لمدة عشر سنين ليثأروا لشرف منيـلاوس ويمـوت كل هؤلاء الابطـال ، ثم يعـود منيلاوس بهيـلانة ويجلس معها على عرش اسبرطه ويعيش معهـا فى ثبات ونبات وكأن شيئا لم يحـدث • طبعـا هى بكت لـــه وقالت : لا تؤاخذنى انهـا الربة افروديت ضحكت على أو على الاصـح ـ بلغتهم ـ رمت على شباكا من حـــديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء باريس كالنائم نوما مغناطيسيا

ثم اخوه الملك الغازى اجا ممنون • عاد الى وطنه بعد عشر سنوات من الجهاد ليجد زوجته فى احضان ايجست • وقبل أن يفتح فمه ذبحته كالثور فى حمام القصر الملكى بالضبط كما فعلت ملكتكم شجرة الدر بزوجها الثانى عز الدين أيبك •• والملك شسيوس أبو الاثينيين كلهم ماتت زوجته وتزوج من فيدرا فأخذت تطارد ابنه هيبوليت حتى دفعته الى الانتحار ثم انتحرت ، وكانت دائما تردد : انها افروديت • انها الربة افروديت ••• القت على شباكا من حديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى امشى وراء هيبوليت كالنائم نوما مغناطيسيا ••• وغيرهن • وغيرهن • كل النساء الزانيات فى اليونان القديمة كن يمسحن خيانتهن فى ربة الحب افروديت • تماما كما نقول نحن : الشيطان وزنى •• الوحيد الذى نجا من هذا المصير هو أوليس زوج بنيلوب • حتى البطل هكتور • لو أن زوجته اندروماك كان عندها ذرة من الفضيلة والشجاعة لانتحرت قبل ان تسبى مع ولدها بعد موته وتنام تحت سقف قاتل زوجها •

أبو الفتوح الصباح : الم نقل لكم ان كل الفسوق جاءنا من الغرب ؟

اغا طبوزادة : بالغزو الفكرى • من ايام العصر الحجرى الحديث ••• الى اليونان ••• الى الرومان ••• الى الحروب الصليبية ••• الى الفرنسيين ••• لغاية الفرنسيين • أما الانجليز والامريكان والالمان ، كل الانجلو سكسون فنحن

غزوناهم فكريا وهم لهذا ارقى شعوب الغرب بسبب تحالفهم مع الاتراك ٠

ابو الفتوح الصباح : بالضبط ٠ كل الفساد جاءنا من أوروبا ٠ بتحرير المراة ٠

روستوفتسيف : المسيو ابو الفتوخ الصباخ يقول أن كل الفساد جاءكم من أوروبا ٠ انا لا اعرف شيئا عن اوروبا بعد سقوط روما فى ٤٧٦ ميلادية ٠ ولكن المشكلة التى يبحثها علماء اوروبا الآن هى : هل انطونيوس هو الذى اغوى كليوباترا أو كليوباترا هى التى اغوت انطونيوس

ابو الفتوح الصباح : ماذا يهم ؟ الاثنان خواجات ٠

روستوفتسيف : لا يا مسيو صباخ ٠٠٠ كليوباترا عندكم جريجية أما عندنا فهى طبعا مصريه ، هى وعائلتها اليس عندكم مثل يقول : من عاشر القوم اربعين يوم ؟ البطالسة عاشروكم ٣٠٠ سنة وصاروا منكم ٠٠٠ مثلا بطليموس الثانى المعروف بفيلادلفوس (٢٨٥ – ٢٤٧ ق٠م) اراد ان يثبت لكم انه مثل الفراعنة تماما فتزوج اخته ارسينوى ٠٠٠ حتى كليوبترا تزوجت عن اخيها بطليموس ١٣ وكان عمره ٨ سنين ٠٠٠ عندنا ٣٠٠ سنة حاجة عظيمة . تكفى لظهور واختفاء عشر امبراطوريات ، اما عندكم فحساب الزمن بالقرون لا بالسنين ٠٠٠يوم الحكومة بسنة لكن سنة الشعب بيوم ٠٠٠ انا شخصيا افضل طريقتكم لانى مؤرخ ، والتاريخ يقوى الذاكرة ٠٠٠ كاهن انوبيس مثلا يعرف كل اسماء الشوارع فى منفيس وطيبة ويسكن فى مصر

الجديدة لمجرد أن شوارعها اسمها طوتموزبس وسيزوستريس وأمازيس ، وماعليه الا ان يغمض عينه ساعة كل يوم ليتخيل ان الشقة المجاورة له تسكنها نفتيس بنت رادوبيس وزوجة ردامانتيس ... والمسيو أبو الفتوح الصباخ يسكن بجوار جنينة الحيوانات لان الشوارع هناك اسمها : ابن رضوان الطبيب ، عقبة بن نافع ، قرة بن شريك ، ابن بختيشوع الطبيب ... ويتوهم انه يعيش فعلا فى الفسطاط ، ولولا هذا لما وجد الشجاعة ليواجه القرن العشرين .

صانع الاقنعة : ما علاقة هذا الكلام بالمرأة الجريجية؟

روستوغتسيف : اقصد ان تحرير المرأة كان عندكم لا عند اليونان ... اليونان اهتموا بشىء واحد وهو تحرير الرجل ... أما المرأة اليونانية ، من المملكة الى بائعة الجندوفلى فى ميناء بيريه فكانت حالتها اسوأ مما يكون ... تصوروا مثلا ان سيدة عظيمة مثل بنيلوب زوجة البطل أوديسيوس ملك ايثاكا يقول لها ابنها تليماك وهو لا يزال دون سن البلوغ : « هيا اذهبى الى حجرتك واشتغلى بأعمالك : اشتغلى بالنول والمغزل ، وامرى وصيفاتك ان يلتفتن لعملهن ، فالكلام من شأن الرجال ، كل الرجال ، ولكنه من شأنى انا قبل الجميع : فالامر أمرى فى هذه الدار » ... هكذا قال هوميروس نحو ١٠٠٠ ق.م . (« الاوديسا » ١/٣٥٦ ـ ٣٦٠) ... وبدلا عن أن تصفع بنيلوب ولدها تليماك أو تقول : اخرس ياولد ، نراها بالفعل تكف عن الكلام وتلتفت للنول والمغزل - والخدون

والمغزل ايام زمان كانا كشغل البرودرى والاوبيسون فى القرن التاسع عشر وكلعبة البريدج والهويست والكاناستا فى القرن العشرين ... اظن ان هواية نسائكم المفضلة هى المشكحة فى شارع قصر النيل وسليمان باشا قبل الظهر وبعد المغرب .. على العموم كان مكان المراة فى اليونان القديمة هو البيت ، وكان لا يسمح لها أن تختلط بالرجال الا فى اسبرطة ... أما الشبان والبنات فكانوا لا يرى بعضهم البعض الآخر الا فى الاعياد والجنازات والمواكب بوجه عام ، ودائما وسط جماعات وليس على انفراد ... وفى شعر ثيوقريط (ايديل ٢) وصف لكيفية وقوع البنت فى غرام دافنيس من بعيد لبعيد فى موكب عيد ارتميس ... وفى أوربيديس ان عدم ملازمة المرأة بيتها يعرضها للقيل والقال (« نساء طروادة » ٦٤٢) والمشرع ليكورجوس قال (فى ليوقراط ٤٠) ان نساء اثينا كن لا يجترئن ، على فتح ابواب بيوتهن وقد كان حدثا رواه المشرع ان نساء اثينا اجترأن على فتح أبوابهن بعد هزيمة خيرونا وعودة الجيش المسحوق ليسألن عن الزوج والاب والشقيق . هل مات أو عاد سالما ، وقد استهجن فوكورجوس هذه الفعلة الشنيعة لانه « ظن أنها لا تليق بهن ولا بمدينتهن » ... والمبدأ العام فى اليونان القديمة كان ان المراة لا تخرج من بيتها حتى تبلغ السن التى تجعل من يراها يسأل : ام من هذه ؟ لا زوجة من هذه ؟ ولا تخرج الا بصحبة مرافق أو شابيرون ذكر من اهل بيتها يكون موضع ثقة ، وكانت فى العادة تتبعها جاريتها ...

طبعـا جاريتها هـذه كانت اس البلاء لان الادب اليـونانى القـديم يصور الجارية دائما على انهـا الرسول بين العشيق والعشيقة ··· نعلم هـذا من ستوبايوس (هيبرود) ··· وفى قوانين صولون فى القرن ٦ ق٠م ٠ قانون ينص على ان المـراة حين تخرج للجنازات أو لاحتفالات الاعياد « يجوز لها ان تأخـذ معها ما لا يتجاوز ثلاث قطع من الثياب وما لا تزيد قيمته عن أوبول واحـد من الطعام والشراب » (والاوبول كان يساوى بنسـا ونصف البنس اى اقـل من قرش صاغ بالسعر الرسمى ولكن ربما كانت قيمته ريالا بالقـــــوة الشرائيه للحقيقة) ··· كذلك نص القانون على ان المرأة لا يجوز لهـا ان تخرج ليـلا الا فى عربة يضيئها مصباح ··· وقد ظلت هذه اللوائح معمولا بهـا الى زمن بلوتارك فى القرن الاول فاذا أراد قومنداان بوليس الآداب عندكم ان يأخـذ بمبـدأ الوقاية خير من العلاج فانى انصحه بقـراءة قوانين صولون وليكورجوس واستصدار قانون يحتم اضاءة كشافات داخل كل سيارة تمر ليـلا فى شارع الهرم أو فى طريق العادى ·· كل هذا يـدل على وجود ازمـة ثقـة شديدة بين رجـال اليونـان القديمة ونسائها ··· وغير معروف اذا كانت القطع الثلاث الواردة فى قوانين صولون معنـاها ثلاثه غيارات أم مجرد ثلاث قطع من الثياب مثل الكومبينيزون والفســتان والشـال أوالمـلاءة اللف ، وهـذا التفسير الاخير هـو الارجح لان تحـديد المـاكولات والمشروبات بما لا يتجاوز ريـــالا يتضمن ان نساء اليونان كان غير مسموح لهن بحمل الفلوس

فى شـنط اليـد أو فى غير شنط اليـد ، والا فالتشريع يكـون عبثـا لان الفلوس يمكن ان تشترى تموين شهر أو سنة ٠٠٠ ويبـدو ان الفكرة العامة كانت ارغـام النساء تحت وطـأة الجوع ان يعـدن للنـوم فى بيوتهن بـدلا من النوم فى القرافة أو فى الحدائق العامة ٠

أبو الفتوح الصباح (يتحمس) : ايهـا الرجعيون ! اهتفوا معى : تحيـا ذكرى صولون !

اغـا طبوزادة والخشداش ايواظ : تحيـــا ذكـرى صولون !

مجاهـد بن الشماخ (فى امتعاض) : مـــا هـــذه السـذاجة ؟ هـذه مؤامرة صليبية ٠٠٠ تذكروا الـروم ! تـذكروا بيزنطة ! هؤلاء هم أعداؤنا التقليـديون ٠ قولوا معى : فليسقط صولون وأهل صولون ٠

صانع الاقنعة : النظام ٠٠٠ النظام ٠

روستوفتسيف : ماذا فعلت ؟ هـل اخطأت ؟ أنـا أرد على سؤالكم : هل كانت المراة اليونانية متحررة أم لا ٠

صانع الاقنعه : مجاهـد بن الشماخ غاضب لانـــك صورت المراة اليونانية فى صورة جميله : خاضعة تمـــاما لسلطان الرجل ٠

روستوفتسيف : نعم ٠٠٠ هى كانت كذلك وكانـت النسـاء تأكل على مائـدة مستقلة بعيـدا عن الرجـال فى الحفلات والمـآدب ٠٠٠ اعتقـد ان هـذا التقليـد لا يـزال موجودا بينكم فى الريف المصرى ٠٠٠ وقـد بلغنى ان كل غلام

من الفلاحين عندكم ينهـر امـه ويقول لها اف كما كان تليماك ينهـر بنيلوب ··· ومع ذلك اذا اردتـم ان اقـلب لكـم الحقائق ، فهـذا سهل ··· نحن العلماء الخواجات مدربـون على ذلك ··· مثلا عندما تكون هنـاك أزمة سياسية بيننا وبين المصريين نصـدر « ابحاثا » علمية نثبت فيهـا ان اصل الحضارة كان فى سومر وليس فى مصر ··· واذا اختلفنا مع العراق اثبتنـا انـه كان فى مصر وليس فى سومر ، واذا اختلفنـا مع كل العرب نقلنـا اصل الحضارة الى الصين او الهنـد بحسب الحالة ·

صانع الاقنعـة : لا ··· لا ··· نحن نريـــد ان نستنير · استمر يـا خواجه ·

روستوفتسيف : على كل حال : استعباد المـــراة فى اليـونان القديمة يثبت وجهـة نظركم ·· يثبت ان المـرأة الاوروبية منـذ فجر التاريخ كانت منحرفة ويجب ان تعامل بالعصـا ··· مثلا أوربيديس فى مسرحية « اندروماك » البيت ٩٢٥ ينصح الرجال العقلاء ان يمنعوا نســاءهم عن استقبال النســاء الاخريات لانهن « معلمات لكل الشرور »·· ومن كوميديـا أرسطـوفانيس « أعيـــاد ثيسمافـوريا » (البيت ٤١٤) نعرف ان رجال اليونان كانوا يســـجنون نساءهم فى حرملك يسمونه بلغتهم « جونايكونيتيس » ، أى « حجرة النساء » ويغلقون الحرملك بترباس محـــكم من الخارج ، ولا يكتفون بهـذا بـل يضعون كلب حراسة مولوسى على عتبـة الدار ··· لمـاذا كانوا لا ياتمنون نساءهم ؟ لانهن

كن نساء ملعبات ٠٠٠ ناقصات عقل ودين ٠٠٠ بالضبط كما تقولون أنتم عن نسائكم اذا أردتم اعتقالهن أو تحديد اقامتهن ٠٠٠ ومنذ ٨٠٠ ق٠م ٠ كان الشاعر هسيود يقول لليونان فى « الاعمال والايام » (البيت ٤٧-٠) أن باندورا ، وهى حواء اليونان ، كانت مصدر كل الشرور والاوبئة ، ويندد فى البيت ٣٧٣ بالنساء لانهن يمشين بطريقة تحريك الاليتين بالتبادل ، أو ما تسمونه هنا طريقة (هز ياوز) لكى يلخبطن عقول الرجال (راجعوا أيضا الابيات ٣١٩ و ٧٠١ وما يليه) ٠٠٠ حتى بريكليس العظيم رئيس جمهورية أثينا فى القرن الخامس ق٠م ٠ كان يقول : « خير النساء اقلهن ذكرا بالخير والشر فى محضر الرجال » ٠٠٠ ورد هذا القول المأثور فى ثيوسيديد ٢/٤٥ ٠٠٠ وفى « الثسمافوريا » لارسطوفانيس أيضا (البيت ٧٩٧) ان واجب النساء المتزوجات هو ان يتوارين د.. ـ البيت حتى لا يراهن المارة ـ الشارع من النوافذ ٠٠٠ ولكن ارسطوفانيس لم يصل طبعا الى حد تحريم النظر من وراء الشيش ٠٠٠ وقد حل أجدادكم فى العصر التركى المملوكى هذه المشكلة باختراع (المشربية) فاذا أردتم احياء هذا التقليد فعندنا فى امريكا نوع من الزجاج من وقف وراءه رأى دون أن يرى ٠٠ طبعا كانت هناك استثناءات قليلة لهذا الضغط والكربته على النساء ٠٠٠ فهيرودوت يذكر نحو ٥٠٠ ق٠م انه فى اقليم ليديا ، حيث أقسام يونان الاناضول ، لم يعترض الناس على ان تحصل البنات على ثيابهن بالدعارة (٢٩٣)

.. ولا تزال هناك رواسب من هذا التقليد باقية الى اليوم فى المرأة العصرية ، ولكن المرأة العصرية اكثر دردحة من جدتها الليدية ، لانها تعلمت كيف تأخذ ولا تعطى وجعلت من السفلقة فنا جميلا ... فبعض بنات اليوم بمجرد غمزة او ابتسامة أو على اكثر تقدير مجرد قبله يستكردن الرجل فى شنطة يد أو زوج من الاحذية وربما فى فستان أو ساعة حريمى وهن فى الطريق الى السينما ... كذلك كانت فساتين نساء اسبرطة مشقوقة فى الجوانب من تحت حتى الفخذين ، وهى موضة متحررة كانت تثير استهجان كل اليونان .

والحقيقة ان الحضارة اليونانية كانت العصر الذهبى لا لست البيت ولكن للغانية أو « الهتيرا » كما كانوا يسمونها ، ولشىء آخر أخجل ان اسميه ولكنكم تعرفونه جيدا من شعر ابى نواس ... فأفلاطون فى « القوانين » يقول : « لدينا غوان لمتعتنا ومحظيات لخدمتنا الشخصية اليومية وزوجات ليلدن اطفالنا ويدبرن منازلنا بأمانه » ... وفى قانون ورد ذكره فى ديموستين الخطيب (« فى الارستقراطية » ٥٥) نجد ان النص يشير الى الام والزوجة والاخت والبنت والمحظية فى عبارة واحدة ... وفى هوميروس نجد أن امتلاك محظية او اكثر كان أمرا اشيع ما يكون فالمحظية اذن كان لها وضع رسمى ... اما الزوجة المسكينة فقد نصت القوانين والعرف والفلسفة واللاهوت عند اليونان ان مهمتها كانت محصورة فى شىء واحد وهو : « انجاب

ذريـة شرعية » كمـا فى لوسيان (« تيمون » ١٧) وكليمنت الاسكندرى (« ستروماته » ٢/٢١/٤) وبلوتارك (« الموازنة بين ليكورجوس ونومـا » ٤) وزينوفون (« المذكـرات » ٣/٢/٢) وديموستين (« فورميو » ٣٠) وغيرهم ... وفى كتاب ارسطو عن « الدولة » (٢/٨/١٢٦٠) ان هوميروس ذكر ان الرجل كان يشترى زوجته من والديها بما كان يدفعه من « هدينا » أى هدايا يقدمها للعروس . وكانت غالبا من الماشية ... ولكننا نعلم ايضـا من هوميروس فى « الاوديسـا » (١/٢٧٧ و ٢/١٩٦) وفى « الاليـاذة » (٦/٣٩٥ و ٩/١٤٤ وغير ذلك) أن الزوج بعد أن يتسلم زوجته كانت الزوجة تتلقى من ذويها دوطة لزواجها ونعلم من « الاوديسا » ٢/١٣٢ انه فى حالة الانفصال يسترد ابو المرأة الدوطة ، ومن « الاوديسـا » ٤/٥٩٥ أن المرأة تفقد حقها فى الدوطـة فى حالة الخيـانة الزوجية ..

صانع الاقنعة : ولماذا كل هـذه الارقام ؟ تكلم كما يتكلم الناس .

روستوفتسيف : مستحيل ... هكذا نتكلم فى محاضراتنا ... والاستاذ الذى لا يذكر مراجعه يفصل فورا منعـا للتلفيق ، والا جلس اى استاذ فى اقرب بار وبنى حضارة بأكملهـا على الورق من رغاوى البيرة .

صانع الاقنعة : استمر وعنعن كما تشاء .

روستوفتسيف : على العموم حكاية « الذرية الشرعية » هـذه كانت الركن الوحيـد للزوجية فى اليونان القـديمة .

وافلاطون هـو الوحيد الـذى ادخل عليها بعض التحسينات فى « القوانين » (٤/٧٢١ و ٦/٧٧٤) حيث قال ان الزواج هـو أداء واجب عام : فواجب المواطن ان يترك وراءه ذريـة تعبـد الالهة وتخـدم الدولة ، وكان افلاطون يطالب بتطبيق عقوبات على العزاب كالغرامة وفقدان الحقوق المـدنية ٠ وفى بلورتارك (« ليكورجوس » ١٥) ان عزاب اسبرطة كانـوا يفقـدون بعض حقوقهم المـدنية كالاشتراك فى المباريات ، وكانوا يجمعون فى السوق ويؤمرون بأن يغنوا اغانى يسخرون فيها من انفسهم ٠٠٠ يعنى كل واحـد فيهم يترنم بقـوله مثلا : انا حمار كبير ٠٠٠ وهو اسلوب فى النقـد الـذاتى اجمل بكثير من اسلوب الروس فى عهـد ستالين ومن أسـلوب الانجليز فى الكنيسة الميثوديست حيث يقف المـــذنب أو المـذنبـة وهو يرتعش وسـط جمهور مكفهر الوجوه من المصلين ويعترف بأعلى صوته : أنـا قضيت الليلة الماضية فى بيـت مسز فـلان ، أو أنا سرقت دجاجتين واوزة من حقـل جارى فلان ، فليسامحنى اللـه ٠٠٠ ولكن قوم اسبرطه كانوا قوما غريبى الاطوار ارجو الا يتشبه بهم أحـد فقـد كانوا يعشقون كمال الاجسام وصحة الابـدان فى سـبيل الحـرب والرياضة لدرجـة ان بلوتارك روى ان الزوج الاسبرطى كان من المـألوف ان يعير زوجته مؤقتـا لرجل آخر اقوى منـه واصح بـدنا لينجب لـه اطفالا اصحاء اقوياء وسيمين ، ويشبه بلوتارك الزواج الاسبرطى بتهجين الخيول بهـدف تحسين النسـل ٠٠ وقـد احيـا الالمـان هـذه العادة الاسبرطية الغريبة أيـام النازية ، وكان جزءا من واجبات الشباب الهتلرى والشابات

الهتلريات ان يقدموا للرايخ الثالثنماذج معتمدة من الجنس الآرى ٠ قامة فارعة مثل قامة جويبلز وقوام ممشوق مثل قوام جورنج وشعر اصفر بلوند مثل شعر هتلر ٠٠ وعيون زرقاء وقسوة جرمانية مثل ايرما جرايس التى كانت تصنع الاباجورات من جلد الاسرى ٠

صانع الاقنعة: دعنا من موضوع النسل ٠٠٠ هذه مشكلة اخرى سنبحثها عند مناقشة حكاية تحديد النسل ٠٠٠ تكلم عن المرأة فقط ٠

روستوفتسيف : انا فرغت تقريبا ٠٠٠ لم يبق الا ان اقول انه نظرا لعدم اختلاط الجنسين فقد كان زواج اليونان يتم عن طريق الخاطبة ، ولكن وظيفة الخاطبة كثيرا ما اختلطت بوظيفة اخرى سيئة السمعة ٠٠٠ ولم نسمع احتجاجا على هذا النظام الا فى افلاطون (« القوانين » ٧٧١/٦) الذى طالب باختلاط الخطيبين قبل الزواج حتى ينجو الزوجان من الخداع ٠٠٠ منهذا ترون أن الزوجة فى اليونان القديمة كانت حياتها هامشية ومحاطة بجدران كثيفة ، ولكن هذا لم يمنع ان تكون الخيانة الزوجية موضوعا شائعا فى أدب اليونان شيوعه فى حياة اليونان ٠٠ ولكن اليونان القديمة كانت فى الوقت نفسه فردوسا للغوانى او « الهتيرات » اللواتى مجدهن ادب اليونان شعرا ونثرا فى كل العصور وبقى لنا من أسمائهن اكثر مما بقى من اسماء الزوجات ٠٠٠ وكان عصرهن الذهبى فى القرن الرابع ق٠م ٠ فاشتهرت منهن فرينا التى كانت موديلا للمثال براكساتيليس

فى تماثيله لافروديت ، واشتهرت الغانية لاييس عشيقة المفكر ارستيب وجلوكا ملهمة الكاتب الكوميدى مناندر وليونتيون عشيقة الفيلسوف ابيقور ٠ وكان لاكثر كبار رجال الدولة غوان شهيرات مثل اسبازيا صاحبة بريكليس وثارجيليا عشيقة ملك الفرس اثناء الحروب الفارسية ، وتاييس عشيقة الاسكندر الاكبر ، وكانت غانية اثينية جميلة تنازل عنها الاسكندر لقائده بطليموس الذى تزوجها واجلسها معه على عرش مصر واسس بها اسرة البطالسة ، وكانت لهـا صديقة غانيه اسمها لاميا حكمت اثينا مع عشيقها الجنرال ديمتريوس بوليوركتيس واقام لها الاثينيون معبدا باسم افروديت لاميا ٠ والاصل فى هؤلاء الغوانى انهن كن مجرد نساء عموميات لهن تسعيرة فى الدولة الاثينية (١ أوبول فى ميناء بيريه وفى حى الفخارين) ، اما اللوكس نكن يصلن الى ٦ اوبول ، وكانت الدولة الاثينية تشرف بدقة على هذه العمليات بسبب الضرائب وانتهت بتاميم الهتيرات فى ميناء بيريه وفى حى الفخارين ٠ وكان جزء لا بأس به من ايرادات الدولة يحصل بهذهالطريقة الغريبة ٠ ولكى ثبت تاريخيا ان ايرادات الضرائب من القطاع الخاص (اللوكس) كان أكبر من ايراداتها من القطاع العام ٠ المهم ان البنات الهتيرات ظهرت بينهن طبقة ذكية مثقفة نحو ٣٠٠ ق٠م ٠ ايام الفيلسوف ابيقور ، فكن ينتظمن فى فصول لدراسة الفلسفة ويتجادلن فى الماهية والمقولات والمفهوم والماصدق والاسطقسات ويقال ان ليونتيون صاحبة ابيقور تركت

رسالة لا بأس بها فى الفلسفة · نوع من الجيشا اليونانية لتسلية العقل والجسد فى وقت واحد · أما الطامحات منهن فوصلن الى ما وصلت اليه مدام دى ريكامييه ومدام دى مانتنون ومدام دى مونتسبان ومدام دى بارى ومدام دى بومبادور ايام البوربون فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية · أما البروليتاريات السناكيح منهن فكان اقصى منى الواحدة ان تصبح محظية لرجل واحد وتترقى الى رتبه « بالاكا » أى « محظية » بدلا من كونها مرفقا عاما ، وكان ذلك يتم مقابل ٢٠ الى ٤٠ قطعه من الفضة ، وكان الرجل يستطيع ان يبيع محظيته فى اى وقت يشاء · نوع من الرقيق الابيض · هذه كانت احلام الحرية بالنسبة لطبقة الهتيرا الغلبانة : اقصى منى الواحدة ان تصبح أمة أو جارية ! لقد كان عصرا ذهبيا حقا ، ولكن للرجال فقط ·

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : انظروا اليه · انظروا اليه ··· انظروا اليهم · ابو الفتوح الصباح ومجاهد بن الشماخ وابو سنة دهب لولى وعز الدين أيدمز المحيوى · انهم يتلمظون سيدى الرئيس : امنعهم من التلمظ·

مجاهد بن الشماخ : لا تصدق كلمة واحدة مما يقول · هذه دعاية مبشرين ·

ابو سنة دهب لولى : هذا فوق طاقة البشر · لم اعد احتمل ··· انا اطالب بتدريس اليونانيات فى كل كليات الجامعة ·

صانع الاقنعة : ممنــوع التلمظ ٠

الماركسية المسخسخة : اذا كان اليونان على هــذه الدرجة من الانحطاط ، فلماذا يهوسوننا اذن بالادب اليونانى والفكر اليونانى والحرية اليونانية والحضارة اليونانيه ٠ ولماذا يقولون ان اليونان اخترعوا الحب الافلاطونى ٠ انــا لما كنت بنت ١٧ احببت ابن الجيران من وراء شــيش البلكونة وضبطنى ابى اسوى له شعرى فى الشــباك لارد تحيته فضربنى علقــة سخنة ، وسمعت اخى الكبير يدافــع عنى ويقول لابى انــه مجرد حب افلاطونى فسكت عنى ٠ ولما عرفت ان افلاطون يونانى احببت اليونان بسبب افلاطون خيبت املى يــا شيخ ٠

روستوفتسيف : لا تعولى على حكاية الحب الافلاطونى هــذه يا سيدتى ، لانــه خاص بالرجال فقط ٠ أصل الحكاية ان افلاطون كتب كتــابا اسمه « النــدوة » فى صورة محاورات بين جماعة من صــفوة المثقفين فى اثينا تجرى فى بيت الشاعر اجاثون ، وهــو شاعر سيىء السمعة جــدا فى الكــلام عن الرجال ، وعلى لسان باوسانياس يقول افلاطون انــه يجب التفرقه بين الحب المقدس القائم على الانســـجام الروحى والتجاذب الفكرى ، وبين الحب المبتــذل القائم على ارضــاء الجسد ٠ وعنــده ان الحب المقــدس لا يمكن ان يقــوم الا بين الرجل والرجل ٠ امــا الحب بين الرجـــل والمراة فمن اختصاص الربة افروديت بانديموس ، اى ربة الحب المهيمنة على كل النــاس ٠ وامــا افروديت اورانيا ، أو ربــة الحــب

السماوية فلا شأن لها بالحب الذى يقوم بين الرجل والمرأة • فحب الرجل للنساء خارج من حيث المبدأ عن نطاق الحب الافلاطونى الذى لا يعرف نشوته الا « الاورانيون » ومعناها حرفيا « السماويون » اى أصحاب الحب السماوى أو العشق الالهى • ومنذ ذلك التاريخ أصبح من يقول عن رجل: « هذا أورانى » يسبه ويتهمه بأشياء فظيعة لا استطيع ان اتفوه بها • وقد كانت الاورانية عند اليونان شائعة كالاكل والشرب ، والغريب انها كانت عندهم لا تتعارض مع البطولة • ففى « الياذة » هوميروس نجد الاورانية بين البطل اخيل والبطل باتروكل وبين البطل باتروكل والبطل بلاتون • وفى ارسطوفانيس ، على عهدة افلاطون فى « الندوة » ، ان الاورانيين هم اقدر الناس على الاشتغال بالسياسة • والمشرع الشهير صولون كان ينظر للاورانية نظرة طبقية محض فأجازها فى قوانينه بين المواطنين الاحرار وحرمها بين الاحرار والعبيد وليؤكد هذا المعنى حرم تداول الاموال فى كل علاقة أورانية ، والفكرة العامة عند اليونان ، ولا سيما فى اسبرطه ، ان الحب بين الرجال كان امارة الارستقراطية أو الدم الدورى الازرق ، والدوريون هم سكان بلاد الاغريق قبل نزول اليونان بها • اما الحب المألوف فهو للدهماء وفى مجلس العموم البريطانى الآن تجمع أورانى لاحياء قوانين صولون ، مما يدل على عصريتها المتناهية •ولكن هذا كله لم يمنع ابطال اليونان وملوكهم وأمراءهم ومواطنيهم ان يكونوا عاديين فى علاقاتهم مع النساء

فيتزوجوا وينسلوا ويدافعوا عن نسائهم كما فعل منيلاوس فى حرب طروادة ، ولم يمنع أخيل مثلا من ان يغضب ويجازف بمستقبل حرب طروادة لانهم حرموه من الاسيرة بريسيس اليونانى مجد جمال الرجل بتماثيل هرميز وابولو بلفدير اكثر مما مجد جمال المرأة بتماثيل افروديت أو ديميتر . انسى حكاية الحب الافلاطونى يا سيدتى فهى خطأ شائع . حضارة اليونان كانت حضارة الرجل لا حضارة المرأة . والفرق بين اليونان والعرب هو ان اليونان مجدوا الاورانية بينما العرب نددوا بالنواسية .

وهنا شهق ابو سنة دهب لولى شهقة عظيمة واخذ يتمتم : « هذا فوق مستوى البشر . هذا لا يطاق » . فالتفتت اليه كل الانظار مستطلعة . أما صانع الاقنعة فأخذ يهز راسه مستنكرا وهو يلعن بصوت خفيض . هذا ما جرته علينا الرجعية وترهات ابو الفتوح الصباح عن العصر الذهبى والمرأة الذهبية . ان نستمع الى كل هذا الكلام الفارغ . بلا حياء . بلا حياء . وباسم العلم . ثم التفت الى الخواجة روستوفتسيف وقال :

ـ انت يا خواجة لم تذكر كلمة واحدة عن حالة المرأة فى روما القديمة .

فاجاب الخواجة روستوفتسيف بقوله :

ـ لا تكن عجولا . كل شئ مرهون بأوانه . موعدنا فى الجلسة القادمة .

× المحاورة السابعة ×

ختامهـا مسـك

قال **صانع الاقنعة** : يـا اخوانى · جاءتنى عريضـــة وقع عليها عشرون عضوا من اعضاء هـذا المؤتمر ، يسمون انفسهم « رابطة حماية الالوف من اخطار الايف والاوف » · التابعة « للوكالة المركزية لحمـاية الملايين من اخطـار لنـين وستالين وكل بلشفى لعين » · وفى هـذه العريضة أن الخواجة روستوفتسيف دسيسة شيوعيه على عقائدنا السنية · وانا استنكر هـذه الاتهامات الجزافية · ولكنى برغم هـــذا ، منعـا للشغب ، شحنت هـذا الخواجة فى صندوق الى الجبانة التى جـاء منها فى مكان ما بأمريكا الشمالية قبل ان يقـــدم تقريره عن حـالة النساء فى روما القديمة · وبناء عليه فعليكم الآن ان تـدعوا احـد رجلين : امـا جيبون الانجليزى وامـــا مومسون الالمـانى ليصف لنـا حالة المرأة فى روما الذهبيـة وما تيسر من العصور الوسطى ·

مجاهـد بن الشماخ : لم نسمع بهـذا ولا ذاك · لماذا! لا نـدعو المسعودى أو المقريزى أو ابن عبد الحكم أو ابن تغرى بردى او ابن أياس ؟

صانع الاقنعة : هؤلاء سندعوهم فى مناسبات أخرى ، ولا سيما حين نتكلم عن الطولونية والاخشيدية والفاطمية والايوبية • انا اقترح أن ندعو ادوارد جيبون رغم أنه مات منذ مائتى سنة لان جيبون فى الواقع واحد من قبيلتنا نحن الادباء • هل من معترض ؟

ولم يعترض معترض ، ولكن لم يبد على أحد حماس • فدخل جيبون قاعة الجلسة بمجرد أن قال صانع الاقنعة : « أدخل يا جيبون » •

جيبون : انتم تريدون تقريرا عن نساء الرومان ؟

صانع الاقنعه : من اجل هذا دعوناك • وسنعطيك مقابل هذا كالعادة تذكرة طائرة مجانية الى الاقصر لتزور الكرنك ووادى الملوك •واذا انسجمنا من كلامك فرجناك على السد العالى وابو سمبل ، اما اذا انشكعنا جدا دعوناك للاقامة اسبوعا كاملا فى لوكاندة عمر الخيام على حساب الخواجة طرايانووزارة الثقافة •

جيبون : اولا يجب ان تعرفوا ان الرومان كانوا على عكس اليونان على خط مستقيم •

صانع الاقنعه : ماذا تقصد بالضبط ؟

جيبون : اولا الرومان كانوا قوما اسوياء جنسيا ، وكانوا يحتقرون الشذوذ أو الاورانية ويسمونها « العادة الجريجية » • ثانيا الرومان كانوا كأهل الغابة ، يعيشون بلا فرامل ، وينظرون للجنس نظرهم الى الاكل والشرب • وكانوا يعيشون فى جزع من الجوع الجنسى ويسوون بين

الرجال والنساء فى الفوضى الجنسية · كانت الحياة الجنسية عندهم تبدأ فى سن ١٢ بالنسبة للبنات و ١٤ بالنسبة للاولاد · ومن أيام رومولوس مؤسس روما ، حتى ظهور النظام الملكى ، كانوا يعيشون فى شىء شبيه بفردوس القطط والكلاب · ومع ذلك فقد عرفوا نظام الزواج حتى فى عصر الفطرة · وكانت اقدم صور الزواج عندهم شراء الزوجة من ابيها · ولكن كان فى امكان اى رجل ان يصبح الزوج الشرعى لاى بنت دون موافقة أبيها اذا استطاع ابقاءها فى بيته سنه كاملة ، بشرط الا تبيت البنت خارج بيته اكثر من ثلاث ليال طوال السنة · فاذا حدث هذا أمكن للانسان ان يسترد ابنته ويبيعها لزوج آخر ·

المعلم العاشر : ولماذا ثلاث ليال ؟

جيبون : لا تسلنى فأنا لا اعرف · ولكن لا تظن ان الرومان كانوا قوما بلهاء لقد قضوا كل حضارتهم لا عمل لهم الا شن الحروب ومد الطرق ووضع القوانين · وكانت بعض قوانينهم تبدو غريبة ولكنها فى الحقيقة وجيهة · مثلا كان من اسباب الطلاق عندهم ان تقوم المرأة بتزييت اقفال المنزل · والاغلب أن الازواج الرومان كانوا يربطون بين التشحيم والخيانة الزوجية على كل حال الرومان كانوا ينظرون الى النسل البشرى نظرهم الى العجول والبقر والجديان والماعز· فكان الاب « يملك » كل من ينجبهم من بنين وبنات ويتصرف فيهم كما يشاء : بالقتل او البيع

او المقايضة او الاستثمار · نحن فى انجلترا نحب ان نقايض على زوجاتنا ، ولكن الجديد عند الرومان انهم كانوا يقايضون على اولادهم · تصوروا ان كلمة رومانتيكية مثل كلمة « الفاميليا » يعنى « الاسرة » كان معناها باللاتينية « الرقيق » او « الممتلكات » او شىء قريب من معنى « ما ملكت ايمانكم » وهذا تجاوز سلطة الاب عند اليونان وفى بابل واشور ومصر القديمة · ولكن كان على الاب قبل أن يتصرف فى بنيه أن يستشير مجلس الاسرة وهو يضم الاقارب والاصدقاء · على ان الاب الرومانى فقد تدريجيا سلطته فى قتل اولاده وانكمشت سلطته على بناته فى الحدود المالية ، فزواج البنت كان مصدر دخل للاب · وبقى للزوج الحق فى قتل زوجته اذا ضبطها متلبسة بالخيانة ، ثم سلب منه هذا الحق فى روما الامبراطورية ، أى منذ يوليوس قيصر فصاعدا ، غالبا لان يوليوس العظيم كان يخشى ان تبقى روما بلا نساء ·

وفى الالواح الاثنى عشر (٤٥٧ – ٤٤٩ ق·م) وهى اقدم قوانين مدونة معروفة فى روما ، كان القانون يحرم الزواج غير المتكافىء ، أى الزواج بين أبناء الاشراف وبنات الشعب · وكان من اشد الناس ضراوة فى تطبيق هذا القانون حاكم متعجرف اسمه ابيوس كلوديوس ثم سخر منه القدر فجعله يعشق بنتا من بنات الشعب اسمها فرجينا وكانت فرجينا بنت ضابط مخطوبة لتريبيون من تريبيونات الشعب ، وهو مثل قولكم عضو مجلس الامة ·

وغضب الاب لشرفه فطعن بنته واجهز عليهـا فى الفورم ، وهـو سوق رومـا • وادى هذا الى قيام فتنـة فى الجيش فتراجع الاشراف والغـوا القانون واجازوا الزواج المختلط •

وبتقـدم المدنية الرومانية فقـدت المـرأة قيمتها كعاملة أو دابـة من دواب الحمل فى الحقول ، واصبحت ست بيت ، أى اصبحت عبئا على زوجهـا • وبهذا تغيرت عـادة شراء الزوجات ، واصبحت الزوجـة هى التى تدفع المهـر الـزوج وتشارك فى الانفاق على البيت • وهـذا اعطى الاب الحـق فى ان يحتفظ بسلطته على بنته بعـد الزواج ، كمـــا ان استقلال المـرأة الاقتصادى دعم مركزها ووسع حرياتها الى درجـه غير لائقة بمكارم الاخلاق ، فشاع التساهل فى الحياة الزوجية • وعلى كل حـال فان الزوج الرومانى لـم يكن فيه من صفات عطيل شىء كثير ، بـل كان رجـلا عمليا يقبل الامر الواقع • وكان من الممكن للطرفين فض الزواج اذا استفحل الخلاف • وكان يمكن للمرأة ان تطلب الطلاق عن طريق القاضى لاسباب متعـددة منها غياب الزوج مـدة طويلة فى الحرب ، وقـد انتشر الطلاق فعـلا أثنـاء الحرب البونية الثانية ، وفى النهاية كان يكفى للطلاق مجـرد طلب الـزوج للخـدمة العسكرية ! وفى روما الامبراطورية استغنى الرومـــان عن القاضى فى الاحوال الشخصية فأصبح يكفى للطلاق مجـــرد اعلان شفوى من أحـد الطرفين • وكان من الممكن ترتيـــب الامور بطريقة أخرى : فكان مألوفـا أن يتنـازل الزوج عن زوجته لصـديق من اصدقائه أو من اصدقائها ، مثلا كاتـو

الاصغر تنازل عن زوجته النبيلة مارسيا لصديقه هورتنسيوس لان هورتنسيوس اراد أن ينجب منها أطفالا . لاشك ان الرومان كانوا يرون هذا افضل من ان تنجب مارسيا لهور تنسيوس اطفالا وهى لا تزال فى عصمة كاتو . كذلك أوكتافيوس قيصر الشهير بأوغسطوس - عدو انطونيوس وكليوبترا - انتقلت اليه زوجته الاخيرة ليفيا بالتنازل من زوجها كلوديوس ، وفى روما الجمهورية - اى قبل القياصرة - كان هذا التنازل لا يتم الا برضا الزوجة لمنع بيع الزوجات أو نقل امتيازهن أو اعطاء التوكيلات بحقوق الارتفاق والاستغلال ولكن روما الامبراطوريه بدات تتساهل فى هذا الشرط الانسانى ، فاصبح التنازل عن الزوجة كالتنازل عن عقار أو موبيليا أو بهيمة .

عميد الصعاليك : يعنى مثلا شخص مزنوق فى قرشين هل كان يمكن أن يتنازل عن زوجته ؟

جيبون : لا . هذا يكون بيعا ، والبيع ظل فى روما الامبراطورية امتيازا لصاحب المال وهو الاب ، وانما فى اغلب الحالات كان التنازل يتم لاسباغ الصفة القانونية على زنا الزوجة بطريقة ودية بدلا من قتلهابحسب ما يبيح القانون . وفى العصور المتأخرة حين انتشرت الفروسية . كان من قواعدها اعتراف الفارس بعشيق زوجته . ولم يكن هذا مظهرا للكرم الرومانى ولكن اثباتا لان لزوجته معجبين. منطق غريب طبعا . فنحن اليوم لا نسمى مثل هذا الرجل

فارسا بـل نسميه باسم آخر اقـل رومانتيكية · فانظروا كيف تقدمت آداب المحـدثين على آداب القدمـاء وعلى العموم فانه لم يعرف عن الرومان ابـدا انهم كانوا يقتلون عـلى النساء ، والمرآة عنـدهم لم تكن تـدخل فى قاموس النخوة · على الفلوس · نعـم · امـا على النساء فـلا ·

مجاهـد بن الشماخ : الم نقـل لكم ان هـذه الشعوب الاوربية منحطـة بالفطرة ؟

الفارس المفروس : على العموم من يقرأ « مجنون ليلى » لاحمد شوقى يجـد ان العرب فى العصر الذهبى عرفت هـذه الفروسية المهيبة ، ولو فى تقاليد العذريين وبنى عـامر · قيس مثلا كان يغار من ورد زوج ليلى ويضايقه بالاسـئلة الكثيرة عما كان يجرى بينه وبين زوجته بالليـل ، مثـل قولـه :

بحقك هـل ضممت اليـك ليـلى
قبيـل الصـبح أو قبلت فاهـا ؟
وهـل رفت عليـك قرون ليـلى
رفيف الاقحـوانة فى نـداها ؟

لدرجة ان ورد ذات مـرة أجابه معاتبا فى رفـق :

الزوج لا يسأل هـل قبل اهله وكم ؟
نعم لقـد قبلتها من رأسها الى القدم

يعنى الزوج يعتـذر للعاشق عن قيامه بواجبـاته الشرعية · بـل ويؤكـد لـه ان ليلى لا تزال صنـاغ سليمة ديوم ان تسلمها :

كانت اطافتى بهـا كالوثنى بالصنم ٠

صانع الاقنعـة : فلنعـد الى الرومان ٠

جيبون : هـذه عـادة سيئة عنـدكم ٠٠٠ كل شىء تنسبونه الى العرب أو المصريين ٠ حتى العادات السيئة ، اتركوا شيئا للشعوب الاخرى ٠ العرب لـم تبتدع هـذه الفروسية المهيبة ٠ هـذا كان من ابتكار الرومان : ان العاشق أو العشيق كان يغـار من الزوج ٠ ويقال ان الشاعر أوفيـد هـو الـذى ابتكر هـذه التقليعة فى ديوانه « الغراميات » وفى ديوانه « فن الحب » وعنـه انسرت فى أوروبا اكثر من الف سنة ، اى طوال العصور الوسطى ، وبالاخص بعد ان امتلات اوروبا بالفرسان من قوط وفندال وهون وبرابـرة نورديـين بشعر اشقر وعيون زرقاء وقامة فارعة مثـل الملك آرثر وفرسـان المـائدة المستديرة : تريستان ، وبارسيفال ، وسيجفريد ، ولانسيلوت وجالاهاد ، ممن كان يحلم بهـم هتلـر فى نوبات الصرع الآرى التى كانت تنتابه ٠ وكانـت للشاعر أوفيـد نظرية معقولة فى العشق نطبقها نحن فى الزواج وهو انـه لا بهجة فى الغرام اذا جـاء سهلا يسيرا ، اى ان الغرام لا يكون غراما الا اذا كان غزوا لقلب امرأة لا يستطيع كل انسان أن ينالها ٠ وكلما شق الغزو زادت اللـذة عنـد سقوط القلعـة وزادت نشوة الانتصار ٠ والمرأة التى لا حارس لهـا تشبه القلعـة المفتوحة أو قلعـة بغير فرسان ٠ وبالطبع فى هـذه التقليعة تكون امنع قلعة هى المرأة المتزوجـة التى يحرسها زوج غيور شـديد اليقظة مثـل الوولف الالمـانى

أو الوولف الالزاسى ، واوفيد يقول انه يحب صاحبته كورينا بسبب مناعتها وانه يغار كلما تصورها تقبل زوجها ويحذرها من حب زوجها ، بل ويصور فراش الزوجية على أنه فراش « الخيانة » تماما مثل صاحبكم قيس بن الملوح ، مجنون ليلى • والحب عند أوفيد له استراتيجية مثل استرلتيجية الحرب •. فالمكان الملائم لحصار المراة ليس البيت ولكن الحفلات والمسرح والملاهى العامة • واستراتيجية بلا تكتيك لا تؤدى الى شيء : فلابد اذن من مرسال أو وسيط، وافضل مرسال أو وسيط هو الوصيفة أو الخادمة • ثم إن الشجاعة نصف المعركة • ولكن يجب ان يفهم العاشق أن الهجوم الخاطف خطأ جسيم • فمد اليد او خطف قبلة يفسد كل الخطط • المهم هو الصبر والتحلى بأداب السلوك التى يسمونها « الكورتوازى » أى سلوك البلاط ، باعتبار ان فينوس ربة الحب ملكة والعاشق فارس يخدم فى بلاطها والمظهر الطبيعى لهذه الفروسية هو خدمة المحبوبة واظهار الاهتمام بها فى كل مناسبة ، ولا سيما فى المرض ، والرمز الطبيعى لهذا الاهتمام هو الهدايا : من علب البونبون الى باقات الورد ، ولا بأس من خاتم رخيص أو حلق فالصو او شنطة يد من وقت لآخر • اما فصوص السوليتير فهى تفسد كل علاقة بين العشاق لانها تثير جشع المراة وتجعلها تنظر الى فارسها على انه منجم ماس او بلاتين وليس مجرد معجب ولهان • طبعا ديوان « فن

الحب » عمل سكاندال فى روما القديمة ، لا لانــه كان خارجا على الاداب ولكن لانــه كان وصــــفا صادقا للمجتمع الرومانى فالناس فى العادة لا تحب من يضع امامها مرآة لترى دمامتها الحقيقية ٠ وعلى العموم فقـد نفى اوفيـد فجأة الى آخر أطـراف الامبراطورية فى تونى على البحـر الاسود سـنة ٨ ميلادية ، نفـاه الامبراطور أوغسطوس قيصر دون ابـداء اسباب لا بسبب شعره ولكن بسبب علاقته بحفيدة الامبراطور التى نفيت ايضـا فى نفس السنة ٠

وانتم تقولون بحق ان النــاس على دين ملوكهم ٠ فتاريخ اباطرة الرومان زفت فى قطران ٠ خـذوا مثلا يوليوس قيصر الذى فتح الدنيا اذا صدقنا الازجال التى كان يؤلفهـا جنوده عنـه وعن علاقته بالسيد بثينيا كما جـاء فى « تاريخ القياصرة الاثنى عشر » للمؤرخ الرومانى سويتونيوس فـان يوليوس قيصر كان نواسيا من طبقـة كومودور ٠ وبعـــده اوكتافيوس اى أوغسطوس قيصر ، كان فظيعـا جنسيا ، وقـد تزوج ثلاث مرات : الاولى من كلوديـا التى هجرهـا ليتزوج من عشيقته سكريبونيا ، وكانت امراة متزوجـــة فطلقهـا من زوجها وهى حامل قبل الوضع بأيام ، ثـــم طلقهـا بتهمة الانحلال الخلقى ، ليتزوج من ليفيـا التى دخلت عليه بطفلتين من زوجهـا الاول ٠ وحين دب الملل فى قلبـه خشيت ليفيـا ان يتخلص منهـا فكانت تأتيه بالعـــذارى الصغيرات جـدا من بنات الفقراء تماما مثــــل صاحبكم شهريار فى « الف ليلة وليلة » وكان العـذر الرسمى الـــذى

اعلنه أطباء البلاط ان هذا يجدد الخصوبة فى الامبراطور ولكن خصوبة الامبراطور لم تتجدد وانتهى امره بالتبنى ولن احدثكم عن بنات زوجات الامبراطور وبناتهن مثل جوليا وبنتها جوليا فقد طحن مع الرجال وساءت سمعتهن لدرجه ان أوغسطوس تيصر نفاهن وجردهن من الحقوق الملكية • ولكن أوغسطوس حين بلغ الستين تحول الى رسول من رسل الاخلاق فسن مجموعة من القوانين لتشجيع الزواج وحماية الاسرة ، فحرم توريث العزاب الذين فى سن الزواج وأعطى الاولوية للتعيين فى وظائف الدولة لذوى الذرية الكبيرة وضيق فى الميراث على المتزوجين بلا نسل وقيد الطلاق فاشترط لوقوعه وجود سبعة شهود • وجعل الدولة تتقاسم مع الزوج المخدوع مؤخر صداق زوجته المطلقة للزنا ، وفرض العقوبات على الازواج الذين يخونون زوجاتهم مع محظيات • ولكن بعد موت أوغسطوس قيصر لم يلتفت أحد الى قوانينه لان أباطرة الرومان الذين اعتبوء كانوا تشكيلة غريبة من الشواذ والمصابين بالحب الافلاطونى ، مثل الامبراطور فيتليوس الذى قتله جنود فسبازيان لسوء سلوكه ، والامبراطور السورى الاصل هليوجابولوس الذى كان يظهر فى الحفلات الرسمية فى ملابس النساء ويلبس ياقة مرصعة بالجواهر واساور مرصعة بالدر وقد زجج حاجبيه بالقلم الاسود وصبغ خديه بالبودرة والروج وكان يجلس فى قصره الى النول وينسج كالنساء ، وقد وزع سلطاته الامبراطورية على عشاقه العديدين وكان احدهم يسمى

نفسه زوج الامبراطورة ، وقد قتل الجنود الامبراطور وهو فى سن الثامنة عشرة • حتى هادريان المحبوب تشبه باليونان فى شيئين : اطلاق اللحية والافلاطونية او الاورانية • ولكن اغرب مافى الرومان أن أباطرتهم العقلاء كانوا شواذا جنسيا بينما كان اباطرتهم المجانين طبيعيين نسبيا : كاليجولا مثلا الذى عين حصانه قنصلا ، ودومتيان ونيرون وكومودوس طلقوا زوجاتهم بسبب الملل أو سوء السلوك وزهدوا فى النساء لان شهوتهم المفضلة كانت شهوة السلطة وشهوة تعذيب البشر •

وافظع من أباطرة روما كانت امبراطوراتها ، واشهرهن مسالينا ، الزوجة الثالثة للامبراطور كلوديوس هذه كانت مجنونة بالجنس وحب السلطة معا ، وكانت معرفتها امتحانا عسيرا للرجال لانها كانت ترسل الى الجلاد عشاقها الخائبين • وفى مرة اعدمت رجلا لانها طمعت فى بستانه واعدمت رجلا لانه أبى أن يسايرها الى الفراش • وفى مرة اخرى كانت تعدم أشراف روما بالجملة لتنفرد بالسلطان فلما استتب لها الامر بدأت « ترمرم » ففى مرة اعجبت باحد الممثلين فأمرت باحضاره الى جناحها الخاص ، ثم تفزت القفزة الكبرى التى خلدت اسمها فى تاريخ الامبراطورية فخصصت لنفسها حجرة فى بيت من بيوت الدعارة وعلقت يافطة باسمها الحركى أو اسمها فى المهنة وهو ليسيسكا ، بحسب الاصول المتبعة فى روما القديمة • وكانت روما كلها تتحدث بذلك وزوجهاالامبراطور كلوديوس لايحرك ساكنا ولكنه اعدمها أخيرا حين حاولت ان تخلعه لتجلس على عرشه عشيقها الشاب جايوس سيليوس • ثم تزوج كلوديوس من

اجربينا اخت الامبراطور كاليجولا التى كانت بينها وبين اخيهـا علاقة محرمة ثم نفاها ۰ فلما اصبحت اجربينا سيدة روما اخـذت تقتل من حولهـامن نساء البلاط الجميلات او تنفيهن غيرة من جمالهن ۰ ونجحت فى أن تحمل كلوديوس على ان يحرم ابنـه من وراثة العرش لحساب نيرون وهو ابنهـا من زوج سابق ، ولمـا لم يمت كلوديوس فى سن معقولة دست لـه السم ، ثـم حاولت ان تسيطر على ابنهـا نيرون كمـا سيطرت على زوجها كلوديوس فاغتالها نيرون ۰ ولـكن بوبايا سابينا ، زوجـة نيرون الثانية نجحت فيما فشلت فيه أجربينا ، وكانت بوبايا من أصـل شعبى ومتزوجـه من قائد الحرس البريتورى فطلقها نيرون وزوجها من صـديقه أوتو بقصـد ان يعيش الثلاثة فى تبات ونبات ۰ ولـكن أوتو رفض هـذا التبات والنبات فأبعـده نيرون من بوبايا وجعلـه حاكمـا على المنطقـة التى نسميها الآن البرتغـال ۰ ثم تزوج نيرون من بوبايا وجعلها امبراطورة روما فوضعت فى انفـه خطاما وحين أنجبت له بوبايا بنتـا رقاها الى لقـب « أوغسطا » أى « المعظمة » ولمـا ماتت أعلن أنها أصبحت الهه وبنى لها معبدا تقدم فيه القرابين والصلوات للربة بوبايا اوغسطا ! وكانت آخر حلقة كبيرة فى هذه السلسلة الذهبية من الملكات الفاجرات الامبراطورة ثيودورا (٥٢٧ ـ ٥٤٨) ميلادية زوجة جوستنيان العظيم أبو القوانين « المدونة » الخطيرة التى ترجمهـا الى العربية فقيـه عندكم اسمه عبد العزيز فهمى

(باشا) • وقد كانت تيودورا فى الاصل بغيا شهيرة فى القسطنطينية ، وكانت وهى دون العاشرة تظهر على المسرح مع اختيها كوميتو وانستازيا وتخلع ثيابها قطعة قطعة للاغراء على طريقة الكباريهات المعروفة باسم « استريب تيز » ثم احترفت البغاء فى القسطنطينية على ارخص مستوى وعلى اغلى مستوى : من الجندى الى الجنرال ومن الجزمجى الى شهبندر التجار ثم عشقها والى بنتابوليس واصطحبها معه الى مقر عمله فى افريقيا • ولكنه لم يلبث ان طردها فتصعلكت فى الاسكندرية ورأت اياما من الضنك الفظيع ، وطافت تحترف البغاء فى كل مدن الشرق القديم • أما كيف اصبحت تيودورا امبراطورة بيزنطة ، فيقال أنها فى سنى ضنكها رأت رؤيا أو حلما بأنها ستكون زوجة ملك عظيم • عجيبة هذه حكاية الرؤى التى تراها النساء دائما فتتغير مجرى الحياة • نحن فى القرن الثامن عشر عصر العقل نرفض تصديق هذه الاشياء ، أما انتم فى القرن العشرين فعندكم علم اسمه السيكولوجيا يبحث فى هذه الظواهر • على العموم النتيجة كانت ان تيودورا عادت من بافلاجونيا الى القسطنطينية متأهبة للعظمة الموعودة وفى القسطنطينيه مثلت فنون المرأة المحترمة ، او « تابت » كما تقولون فى لغتكم ، واشتغلت بغزل الصوف لتكسب قوتها • وعشقها جوستنيان بجنون • وكان يحكم بيزنطة فعليا باسم عمه ، ولما عارضت الامبراطورة فى زواجه من تيودورا انتظر حتى ماتت والغى القانون الذى يحرم زواج الممثلات من

الاشراف وتزوج من تيودورا وتوجها وجعل رجال الدولة يقسمون لها يمين الولاء فجعلها بذلك شريكته فى الحكم وكانت متغطرسة قاسية جشعة ينتظر صدور الدولة فى حجرة انتظارها ساعات طويله ثم يؤذن لهم فى الدخول فيقبلوا قدميها • وكانت تخرج فيخرج فى موكبها ٤٠٠٠٠ تابع وعلى رأسهم وزير الداخليه (الوالى البرينورى) ووزير الخزانة ، أما جناحها الخاص فكان مليئا بالخصيان والوصيفات الداعرات ونشرت جواسيسها فى كل مكان ، وكانت تسجن من يعارضها فى اقبياء مظلمة كدهاليز اللابرانت تحت قصرها وتأمر ان يعذبوا فى حضرتها ، فيموت منهم من يموت اما من ينجو فكان يفقد بعض اعضائه ليكون عبرة لمن يعتبر ، وهى تقاليد نافعة فى فن الحكم حافظت عليها بيزنطة أكثر من ١٤٠٠ سنة حتى حكم السلطان عبد الحميد • وكانت تيودورا متدينة ألى حدالهوس فبنت ديرا فى الضفة الشرقية من البوسفور جمعت فيه ٥٠٠ من بغايا القسطنطينية وحبستهن مدى الحياة ، ومنهن من يئسن من الحياة فالقين انفسهن فى مياه البوسفور • وقد كتب زوجها الامبراطور جوستنيان انه استوحىكل قوانينه من زوجته الملهمه من السماء •

هذا هو العصر الذهبى للمرأة الرومانية : بدأ بشراء الزوجات وانتهى بتأليه البغايا والتثليث الجنسى باسم الفروسية • أما اذا أردتم تاريخ المرأة الذهبية طوال الف

سنة من العصور الوسطى الاوروبية ، فعندكم رجل يدعى ستيفن رنسيمان ، استاذ باكسفورد واخصائى عصور مظلمة ، يستطيع ان يحدثكم عن غرام تريستان وايزولدا وباولو وفرنشيسكا وابيلار وهلويزا وبترارك ولورا ودانتى وبياتريس (عمرها ٩ سنوات) وعن احزمة العفة ذات الاقفال التى كان السير جودفرى وفرسان الحروب الصليبية يغلقونها حول خصور زوجاتهم قبل الرحيل الى الاراضى المقدسة ، وعما كان البابا اسكندر السادس يفعله مع اخته وبقية السيرة العاطرة لآل بورجيا ومديتشى وتشنشى وغيسكونتى · وربما وجدتم نوادر ذهبية كثيرة عن بنات افروديت الذهبية فى الكتاب الذهبى عن « تاريخ البابوات » للمؤرخ فرايهر ·

صانع الاقنعة : شيء مقرف · شيء مقرف · لا نريد مزيدا · انتم مقرفون يا حضرات الخبراء الاجانب ·

جينون : الحقيقة دائما مقرفة يا حضرات الادباء المصريين ، نحن فى اوروبا نعرف ذلك ، ولهذا نواجهها بشجاعة فنثبت اقدامنا على الارض حتى حين نحلق فى السماء السابعة · ولهذا اعترفنا بحقوق المرأة وبحرياتها وساويناها بالرجل من يوم ان ساوينا الرجل بالرجل فى الثورة المجنونة التى تسمونها الثورة الفرنسية · أما أنتم فلكثرة غرامكم بالشعر تعيشون بين السحب وترصعون هاماتكم بالنجوم وتلتحفون بالمجرة لتهنأوا بالنوم ، وتحلمون بعصر ذهبى لا وجود له وتتوهمون ان الاجداد كلهم فضائل والاحفاد كلهم رذائل ، نحن ايضا كنا نفكر مثلكم

حتى اكتشفنا ان العالم يتقدم ولا ينحط ، وعرفنا ان التقدمية وهى النظر الى الامام خير من الرجعية وهى النظر الى الوراء . وكان ينقصنا الاثبات حتى جاء ولد لنا اسمه داروين واثبت لنا ان الانسان كان منحطا ثم ارتقى ولم يكن راقيا ثم انحط ، وخلصنا من فكرة الخطيئة الاولى التى لازمتنا منذ ان نظم الشاعر غرجيل رؤيا العصر الذهبى قبيل عام واحد ميلادية حتى ١٨٥٩ ، عام ظهور كتاب « اصل الانواع » .

صانع الاقنعة : الآن وقد استنار المؤتمر بتقارير الخبراء عن المراة الذاهبية فى العصر الذهبى عند العرب وفى مصر القديمة وفى بابل وآشور وفى اليونان القديمة وفى روما القديمة ، لم يبق الا ان ناخذ الاصوات على هذا السؤال: هل المراة اليوم احط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو أرقى منها ؟

ابن سيركوف : سيدى الرئيس . قبل ان نأخذ الاصوات بلغنى أن الدكتور خطة أرسل لسيادتكم تقريرا برايه فى هذا الموضوع . وانا اطالب بقراءته على الاعضاء.

صانع الاقنعة : هذا صحيح ولكنى استبعدت هذا التقرير لان الدكتور خطة ليس اديبا ولا فنانا ، بل استاذ فى الاقتصاد .

ابن ماركوف : نريد التقرير .

على الزيبق الجوكى : يجب ان تتفاعل الفنون والآداب مع الاقتصاد .

الايديولوجى الفهلوى : حتمية الحل الاشتراكى تحتم هـــذا ·

صانع الاقنعة : لا بأس · لا بأس ·

ثـم أخرج صانع الاقنعة من ملف أمامـه ورقة تلاها على الحاضرين ·

قالت الورقة :

« سيدى رئيس مؤتمر الادبـاء والفنانين :

« تحيـاتى ··· انتم رجال الادب والفن تعشـــقون الكلمات ، ولاسيما الكلمات السحرية ، مثـل حقوق الانســان وتحرير المرأة لانكم مثل قبائل الاشانتى والشولوك والدنكـا لا تزالون تعيشون فى عصر السحر ، حيث الكلمة مسـاوية للفعل · انتم تثبتون كل شىء بالاشعار ، مثـلا اذا أردتـم تعليم البنات قلتم « الام مدرسة اذا اعـددتها اعـددت شعبا طيب الاعراق » · واذا اردتم ان تجعلوا المراة مجرد غانيـه فى الحريم قلتم : « كتب الحرب والقتال علينـا وعلى الغانيات جـر الذيول » · واذا اردتم اغلاق مدارس البنـــات وحصر نشاط المراة فى الطبخ ومسح البلاط وشغل الابرة ، قلتـم مع المعرى :

علمـوهن الغـــزل والـــردن
وخــــلوا كتـــابة وقـــراءة ·
فصلاة الفتـاة بالحمد والاخـــلا
ص تغنى عن يـــونس وبـراءة

واذا اردتم تجنيـد النسـاء فى الخـدمة العسكرية او

ادخالهن الحرس الوطنى تذكرتم ان اليونان كانت فيهـــا نســاء محاربات اسمهن الامازونات • واذا اردتم ان تثبتـوا ان المراة يمكن ان تحـكم مثـل الرجل قلتم : انظروا الى حتشبسوت أو الملكة اليزابيث أو الامبراطورة كاترين • واذا اردتم ان تثبتوا ان المراة لا تقـل تدينـا عن الرجـل تذكرتم رابعة العـدوية وسانت تيريزا ، وهكذا • أمـا نحن رجال التنمية ، فنسمع كل هـذا الكـلام ونضحك من سذاجه الادباء • نحن لا نقول ان قاسم أمين حرر المـرأة المصرية ، ولكننـا ننظر الى اربعة رسومات بيانية نطلبهـا من اللواء جمال عسكر مدير ادارة التعبئة : (١) رسم بيانى بنسبة العمالة بين النساء الىالعمالة بين الرجالمع بيـان بانواع الاعمال التى يزاولها الرجال والنساء • (٢) رسـم بيانى بنسبة اجور النساء الىأجـور الرجال • (٣) رسـم بيانى بنسبة توزيع الملكية بين الرجال والنساء • (٤) رسم بيانى بنسبه التعليم بين الرجالوالنساء مع بيان نـوع التعليم ودرجته • واذا أردنـا ان نعرف حـالة المراة فى عهد رمسيس الثانى أو البطالسة أو المماليك طالبنا أولا باعداد هـذه الكشوفات قبل ان نقرر اذا كان العصر ذهبيا أم فضيا أم نحاسيا أم حـديديا • وبعـد دراسة هـذه الجـداول نحـكم ان كانت المراة المصرية متحررة فعـلاً أم نصف متحررة أم متحررة فى الظاهر فقط أم ميئوس من تحريرها ، واذا بقى لدينا وقت بعـد هـذا نظرنا فى هـذه الاعتبارات المعنـوية التى يتحـدثون عنهـا كاثر الثقافة أو الفلسفة الاجتماعيـة

والحضارية والفكرية والروحية فى تحديد وضع الانثى بالنسبة للذكر سواء فى الاسرة أو فى المجتمع ·

« نحن نعرف مثلا من خريطة العالم الاقتصادية ان المراة الروسية والمراة التشيكوسلوفاكية اكثر تحررا واكثر مساواة بالرجل وبالتالى اقل ذهبية من المراة الانجليزية او الفرنسية ، لسبب بسيط وهو ان نسبة عمالة النساء الى الرجال فى الاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا هى ١ : ٢ اى امراة تعمل مقابل كل رجلين يعملان · وقد كانت نسبة عمالة النساء فى روسيا القيصرية ، قبل ثورة ١٩١٧ ، فى المتوسط ١ : ١٠ ، وهذه الثورة الحقيقية فى انتاجية المراة الروسية هى التى ادت الى تدعيم حريتها ومساواتها بالرجل ، وليس بيانات تشايكوفسكى ، ومايكوفسكى وتوجآن بأرانوفسكى · والمراة الانجليزية لم تتحرر نسبيا الا بعد الحرب العالمية الاولى · فعندما كتب الحرب والقتال على الذكور الانجليز فى الفلاندرز وغيرها لم تجلس المراة الانجليزية على عجزها او تكتفى بجر الذيول ، بل لبست الاوفرول ودخلت المصنع وساقت الكاميون او التاكسى او الجرار ووزعت البريد وخرمت التذاكر · كانت نسبة عمالة النساء فى انجلترا قبل ١٩١٤ نحو ١٥٪ من مجموع القوة العاملة ، اى ١ : ٧ تقريبا · وكانت أول ثمرة لازدياد العمالة بين النساء حصول المراة الانجليزية على حقوقها السياسية جزئيا فى ١٩١٨ ، فنالت حق الانتخاب لمن يبلغ سن الثلاثين ، وفى ١٩٢٨ ، طبعا بسبب ازدياد عمالة

النساء ، لمن بلغن سن ٢١ ٠ والآن ، ما هو الموقف فى بريطانيا ؟ ارتفعت النسبة الى ١ : ٣ ، ففى المملكة المتحدة ٢٠ مليون وظيفة تشغل النساء منها نحو ٥ ملايين ويشغل الرجال ١٥ مليونا ٠وهذا الاستقلال الاقتصادى النسبى هو الدعامة الاساسية للمساواة بين الجنسين ٠ ولكنها طبعا مساواة غير كاملة ، رغم أن بريطانيا تحكمها امراة لسبب بسيط ، وهو ان متوسط اجر العامل فى بريطانيا ١٤ج‌ك فى الاسبوع بينما متوسط دخل العاملة ٧ ج‌ك فى الاسبوع (لا تسألونى لماذا يسمون الجنيه الاسترلينى ج‌ك وليس ج‌س) وليس معنى هذا ان المهندس أو الطبيب أو المدرس أو العامل البريطانى بالضرورة يتقاضى ضعف ما تتقاضاه المهندسة أو الطبيبه أو المدرسة أو العاملة البريطانية اذا قامت بنفس العمل ، ولكن فى حساب المتوسطات نخلط دخل الزبال ودخل المدير العام ونقسم على ٢ ٠ وسبب انخفاض دخل النساء العاملات هو أن أكثرهن يشغلن الوظائف الدنيا كاعمال السكرتارية والبيع فى المحلات التجارية والخدمة فى المطاعم والبارات والبيوت والفنادق والمحلات العامة ٠ نفس المشكلة قائمة بالنسبة للمرأة الامريكية ٠ ففى الولايات المتحدة نحو ٧٠ مليون وظيفة منها نحو ١٤ مليونا تشغلها النساء و ٥٦ مليونا يشغلها الرجال ، اى بنسبة ١ : ٤ ، وهو اقل من بريطانيا ومجموع أجور النساء فى امريكا يتراوح بين ٥٠٪ و ٦٠٪ من مجموع أجور الرجال ٠ وقد حصلت المرأة الامريكية على حق الانتخاب فى

١٩٢٠ ومع ذلك فالمراة الامريكية تركب الرجل الامريكى لان نساء أمريكا يملكن بحسب آخر احصاء ٨٠٪ من قيمة الاموال المستثمرة فى أوراق مالية ٠ أو بعبارة اخرى الذكور فى امريكا بروليتاريا تشتغل لحساب الاناث فى امريكا ٠ وهذا يريكم ضرورة الرجوع الى الرسم البيانى بتوزيع الملكية فى المجتمع كلما أردتم ان تتكلموا عن تحرير المراة ٠ أما المراة الفرنسيه فلم تحصل على حق الانتخاب الا فى ١٩٤٦ وهى متخلفة فى المساواة بالرجل رغم الاسطورة الشائعة فى العالم عن تحرر المراة الفرنسية ، وهى اسطورة خلقها عشاق باريس ولم يدركوا أنها للاستهلاك الخارجى ٠ ولم يدركوا أن باريس صممت لتكون عاصمة اوربا ، ونسبة العاملات الى العاملين فى فرنسا هى ١ : ٦ ، ولكن هذه القياسات طبعا غير دقيقة لان فرنسا لا تزال فى صميمها بلدا زراعيا ، والاحصاءات فى الريف عادة غير دقيقة لان تعاون المراة فى الانتاج الزراعى والحيوانى وفى الصناعات المنزلية الخاصة بالاسرة أمر يصعب حصره ٠ أما فى مصر فليست هناك احصاءات واضحة لحالة العمالة بين النساء والرجال بسبب غلبة الاقتصاد الريفى ٠ وانما المعروف ان مجموع القوة العاملة (بين سن ١٥ وسن ٦٠) يتراوح بين ٦ و ٧ ملايين ٠ ويظن ان نسبة عمالة النساء الى الرجال عندنا ١ : ٦ فلابد أن تكون نسبة اجور النساء الى أجور الرجال ونسبه توزيع الملكية نسبة مزرية جدا بحيث تفسر انعدام المساواة بين النساء والرجال رغم ما يقوله الميثاق

فى هـذا الموضوع ، بـدليل عجز المراة المصريه حتى الآن عن اصلاح قوانين الاحوال الشخصية مثلا · والمراة المصرية الى الآن تعتبر ان بطنهـآ هى مصدر رزقهـا الاســـاسى · فوسيلتها الاولى فى ضمان قوتهـا اليومى هى تكبيل زوجهـا بعشرة اطفال حتى يعجز عن التخلى عنها ، أو لتضمن لنفسها اعـانة بطالة أو اعـانة شيخوخة فى حالة الرفت بالطلاق · وهـذا ما يجعل كل خططنا لتحـديد النسل هبـاء فى هبـاء ما لم تعـدل قوانين الاحوال الشخصية بحيث تمنع فصـل الزوجات فصلا تعسفيا أسوة بعمال المصانع وتطبق عليهن قوانين التامينات الاجتماعية · ويوم ان نعترف ببطن المراة كأداة من ادوات الانتاج الحيوانى ونخضعها لقوانين التأمينات الاجتماعية يمكننا أن نواجه مشكلة الانفجار السكانى مواجهة علمية لآ مواجهة شعرية ، ويمكن ان نحقق ما جاء من بنود عن المـراة فى « ميثاق العمـل الوطنى » ·

وتفضلوا يا سيدى الرئيس بقبول وافر احترامى ·

(توقيع)

(د· عبد الحافظ خطـة)

ابن سيركوف : تحيـا الاقتصاد ولوجيا ·

ابن ماركوف : تحيـا عمالة المراة · يحيـا الاقتصـاد محرك التاريخ ·

المـاركسية المسخسخة : تسقط الاغـلال الذهبيـة · يسقط القفص الذهبى ·

خولة المـايسطرية : لا · لا · هـذه شيوعية · انـا

شخصيا احب الاغلال الذهبية لانى احب الخلاخيل الذهبية والاسورة الذهبية والخواتم الذهبية والحلقان الذهبيـــة والعقود الذهبية ، وكل الاشياء المستديرة مادامت ذهبية ٠

شجرة اللولى : طبعـا هـذه شيوعية ، ونحن اعـــداء الشيوعية ، مادام الرجال يحبون الاقفاص الذهبية فلابـــد من اقفاص ذهبية ولكن المهم ان تكون قضبانها سميكة عيار ٢٤ وواسعة بحيث يخرج العصفور ويـدخل كما يشاء ٠ المهم ان يرى الرجل المراة داخل القفص الذهبى ، أو على الاقــــل ان يتوهم انــه يراها ٠ ومــا دامت القضبان واسـعة فليس يهم بتــاتا ان اكون داخـل القفص أو خــارج القفص ، ومن أحاديث جـدتى عرفت ان المشكلة الحقيقية هى تزيين فكـرة القفص الذهبى فى عين الرجل حتى ينفق عليه كل ماله ويجمد ثروته فى قضبانه الذهبية : عندئـذ يصبح الرجل ، لا المراة هــو اسير القفص كما تتفرج النمرة فى جنينة الحيوانات على الاطفال من وراء القضبان ٠ انــا شخصيا اكتشفت ان اللولى اغلى من الذهب ، وقفصى كلــه من اللولى ٠٠٠ يا حللولى ٠

صانع الاقنعة : كفى نقاشا ٠ لقـد استمعنا لاهـــم الآراء ٠ والآن السؤال هــو ، للمرة الثانية ، هل المراة اليــوم أحــط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو ارقى منها !

المعلم العاشر : انــا معترض على طرح القضـــية على هــذا الوجــه ٠

صانع الاقنعة : على اى وجــه تحب ان تطرحها ؟

على الزيبق الجوكى : لقـد اثبت كل الخبراء بالاسانيد

التاريخية والحسابية والثقافية والاقتصـــــادية ان العصر الذهبى خرافة رجعية ابتكرها تحالف الاقطاع وراس المـال مع الاستعمار لابقـاء الشعوب المتخلفة فى تخلفها • فليـــكن السؤال : هل هنـــاك عصر ذهبى أو لا •

صانع الاقنعة : موافق • السؤال المطروح امامكم هو • هـل هنـــاك عصر ذهبى أو لا ؟

الموافقون يقولون : احم ! احم ! والمعارضون يقولون مثـل الكشافة : يعيش !

وهنـــا دوت القاعة بهتاف يصم الاذان يقول : يعيش ! يعيش • يعيش • ولـم يسمع آلا خمس أو ست أحمات • وكان الهتـــاف قاطعا فلم يجرؤ احـد ان يطالب بعـد الاحمات •

صانع الاقنعة : نفهم من هـذا أن ادبـاء مصر فى عهد الثورة يرفضون فكرة العصر الذهبى ويعدونها خرافة رجعية ننتقل الى القضية الثانية وهى : ان نساء الامس كن افضل من نســـاء اليوم •

الايديولوجى الفهلوى : ماذا تقصـد بافضل ؟

صانع الاقنعة : اقصـد محصنات اكثر • يعنى بالبلدى أكثــر عفـــة •

مجاهـد بن الشماخ : على وجـه اليقين • على وجــه اليقـــين •

المعلم العاشر : بعـد كل ما قيل عن بلاج جلجل وحبال الفرزدق وتنكرات ابن ابى ربيعة وأورانية اليونان ومأخور مسالينا واستريب تيز الامبراطورة ثيودورا ؟

صانع الاقنعة : خـذوا الاصوات بنفس الطريقـة ٠ الموافقون يقولون : احم ! ٠ والمعارضون يقولون : يعيش :

وللمرة الثانية ارتفع دوى هـائل يقـول : يعيش ! يعيش ! يعيش ٠ وغرقت الاحمات فى عـدير اليعيشـات ٠ ولكن الـذى لفت النظر ان اصوات الاحمات كانت دائمـا يتخللهـا رنين أصوات النساء من اديبات مصر ، فقـد كـن اشـد من الرجال حماسة للعصر الذهبى ٠

صانع الاقنعة : اذن فادباء مصر فى عهـد الثورة يرون ان نساء الامس لـم يكن اكثر عفـة من نساء اليـوم ٠

على الزيبق الجوكى : هـذا غير كاف ٠ انـا اطالـب التصويت على القضية الآتية : ان نساء الامس كن « اقل » عفـة من نساء اليوم ٠

صانع الاقنعة : ربما كان هـذا صحيحا ، ولكن لا داعى للاستفزاز يـا على الزيبق ٠ يكفى اننـا انقذنا سمعة المرأة المصرية فى القرن العشرين ٠ ثـم لا تنس ان نساء الامس هن جداتنـا كما أن نساء اليـوم هن زوجاتنا ٠ ونقص عفـة جـداتنا يصيبنا نحن فى مقتل ٠ ويكفى اننـا بشهادة المؤرخين وعلماء الانثروبولوجيا والاثنولوجيا اكتشفنا حقيقة خطيـرة وهى انـه فى جميع حضارات العالم القديم ، كانت المرأة المصرية أولا ثم المرأة العربية ثانيا تتمتع بحقوق الانسان (الحرية ٠ المساواة ٠ الاخاء) وبحقوق الحيوان (المأكل ٠ الملبس ٠ المسكن الفراش) اكثر من المرأة فى بابل واشور واليونان القديمـة وروما ٠ وليكن هـذا اجمل ختام لاجمل جلسات جلستموها

امتزجت فيهـا المتعة بالفائدة ٠ واسمحوا لى ايهـا السادة ان ارفع الجلسة وافض هـذه الـدورة الاولى لهـذا المؤتمر الاول لادبـاء مصر وفنانيها ٠ وسأحـدد لكم موعـد الـدورة الثانيه ، ولكنهـا لن تكون قبـل شهور طويلة ٠ واقترح ان يكون جـدول الاعمال فى الـدورة القادمة هو « نظم الحـكم بين القـديم والجـديد » الا اذا جاءتنى اعتراضات كافيـة من الاعضاء ٠ والى أن يحين الحين : ارفـع الجلسة واعلن انتهـاء الـدورة الاولى للمؤتمر ٠ وفقكم اللـه لمـا فيـه نصر الفنون والآداب والعلوم الانسانية ٠ وشكرا ٠

وهنـا دوت القاعه بالتصفيق ٠ وانصرف الحاضرون زرافات ووحـدانا بعضهم يصهلل وبعضهم يجمجم وبعضهم يحمحم ٠ ولكن كثرتهم الغالبة انصرفت وهى تبتســم فى طمأنينة المراهق الـذى اكتشف فجأة ان شاربه قـد اخضر بحيث يستطيع أن يعبث فيـه ويزهو به ٠ وتفرقوا بـين فترينـات شارعى سليمان باشا وقصر النيل ، كل يبحث عن هـدية لزوجته تنفيـذا لقرارات المؤتمر الذى بـرأ نسـاء مصر من ذلة الاماء ومن خلاعة القيان : علبة بانكيك أو قـلم احمر شفايف أو زجـاجة بارفان ، بعـد ان تأكـدوا من ان رجـال العرب فى العصر الذهبى كانوا يهدون لزوجاتهم أدوات الزينة ، حتى عـز الدين ايدمـر المحيوى والخشداش ايواظ وأغاطبوزادة وأبو سنة ذهب لولى دخلوا جمـاعة الى دكـان هانو واشترى كل منهم لزوجته فستان سهرة من موضـــة اللامعقول استنادا الى ما قالته كتب العرب عن المتجـــردة

زوجـة النعمان بن المنـذر • وأمـا ابو الفتوح الصباح فقد جره المجاهـد بن الشماخ قائلا : اسمع يـا اخى • طبعـــا نحن لن ننفـذ قرارات المؤتمر • يجب ان نتوارى عن العيـون حتى يرتفع هـذا البلاء • هـذا ما جرته علينـا وثنية اليونان وصليبية البابوات وبلشفية المعاصرين وجاهلية القـــرن العشرين •

« انتهـى »

للمؤلف

١ ـ The Theory and Practice of Poetic Dicti on.
M. Litt. Dissertation, Cambridge University.

٢ ـ « فن الشعر » لهوارس · الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ · (كتب فى كامبريدج ١٩٣٨) · الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧٠ ·

٣ ـ « برومثيوس طليقا » للشاعر شلى · الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ · الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ ·

٤ ـ « صورة دوريان جراى » لاوسكار وايلد · الناشر: دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٦ · الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ ·

٥ ـ « شبح كانترفيل » لاوسكار وايلد · الناشر : دار الكاتب المصرى ، القاهرة ، ١٩٤٦ ·

٦ ـ « بلوتولاند » وقصائد أخرى : « من شعر الخاصة » · الناشر : مطبعة الكرنك ، القاهرة ، ١٩٤٧ · (نظم بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ بكامبريدج) ·

٧ ـ « فى الأدب الانجليزى الحديث » • الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهـرة ، ١٩٥٠ • الطبعة الثانية : الهيئة المصرية العـامة للكتاب ، ١٩٨٦ •
(بحوث نشر اكثرها فى مجلة الكاتب المصرى خـلال ١٩٤٦ و ١٩٤٧) •

٨ ـ Studies in Literature, Anglo - Egyptian Bookshop, Cairo, 1954.

٩ ـ « خاب سعى العشاق » لشكسبير • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ١٩٦٧ (ترجمت ١٩٥٥) •

١٠ ـ « دراسات فى أدبنا الحديث » • الناشر : دار المعرفة • القاهرة ، ١٩٦١ • (بحوث نشر اكثرها فى جـريدة « الجمهورية » عـام ١٩٥٤ وفى جريدة « الشعب » خـلال ١٩٥٧ و ١٩٥٨) •

١١ ـ « الراهب » : مسرحية تاريخية • الناشر : دار ايزيس ، القاهرة ، ١٩٦١ •

١٢ ـ « دراسات فى النظم والمذاهب » • الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٢ • الطبعة الثانية : دار الهـلال ، القاهرة ، ١٩٦٧ •

١٣ ـ « المؤثرات الأجنبية فى الأدب العربى الحديث » الجـزء الأول : « قضية المـرأة » الناشر : معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٢ • (محاضرات القيت على طلبة المعهـد) •

١٤ ـ « المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث » الجـزء الثانى : « الفكر السياسى والاجتماعى » الناشر :

معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٣ · الطبعة الثانية · الناشر : دار المعرفة، القاهرة ، ١٩٦٤ · (محاضرات ألقيت على طلبة المعهد) ·

١٥ ـ « الاشتراكية والأدب » · الناشر : دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٣ · الطبعة الثانية : دار الهلال القاهرة ، ١٩٦٨ · (بحوث نشرت في « الجمهورية » خلال ١٩٦١ وفي « الأهرام » خلال ١٩٦٢ و ١٩٦٣) ·

١٦ ـ « الجامعة والمجتمع الجديد » · الناشر : الدار القومية، القاهرة ، ١٩٦٤ ·

١٧ ـ « دراسات في النقدوالأدب » · الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٤ · الطبعة الثانية : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ·

١٨ ـ The Theme of Prometheus in English and French Literature (Ph. D. Dissertation, Princeton University, 1953). Ministry of Culture, Isis House, Cairo, 1963.

١٩ ـ « المسرح العالمى » · الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ ·

٢٠ ـ « البحث عن شكسبير » · الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، الطبعة الثانية : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ ·

٢١ ـ « نصوص النقد الأدبى عند اليونان » · الناشر دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ ·

٢٢ ـ « مذكرات طالب بعثة » · الناشر : روز اليوسف سلسلة الكتاب الذهبى ، القاهرة ، ١٩٦٥ · (كتبت في ١٩٤٢)

٢٣ ـ « دراسات عربية وغربية » • الناشر : دار المعـارف ، القاهـرة ، ١٩٦٥ •

٢٤ ـ « على هامش الغفران » الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ •

٢٥ ـ « العنقاء : أو تاريخ حسن مفتاح » الناشر : دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ (رواية كتبت بين القاهـرة وباريس بين ١٩٤٦ و ١٩٤٧) •

٢٦ ـ « أجاممنون » لاسخيلوس • الناشر : دار الكاتب العـربى ، القاهـرة ، ١٩٦٦ •

٢٧ ـ « المحاورات الجديدة : أو دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية » • الناشر : دار روز اليوسف ، القاهرة ، ١٩٦٧ • الطبعة الثانية : دار ومطابع المستقبل ، القاهرة ١٩٨٦ •

٢٨ ـ « الثورة والأدب » • الناشر : دار الكـاتب العربى ، القاهـرة ، ١٩٦٧ • الطبعة الثانية : دار روز اليوسف

٢٩ ـ « انطونيوس وكليوباترا » لشكسبير • الناشر: دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ •

٣٠ ـ « حاملات القرابين » • لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٣١ ـ « أسطـورة أوريست والملاحم العربية » • الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ •

٣٢ ـ « الصافحات » لاسخيلوس • الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ •

٣٣ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » : من الحملة الفرنسيه الى عصر اسماعيل • (جـزءان) • الناشر : دار

الهـلال ، القاهـرة ، ١٩٦٩
٣٤ ـ « الجنون والفنون فى أوروبا ٦٩ » • الناشر : دار الهـلال ، القاهرة ، ١٩٧٠
٣٥ ـ « دراسات أوروبية » • الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧١ •
٣٦ ـ « الحـرية ونقد الحرية » • الناشر : مؤسسة التاليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١ •
٣٧ ـ « الـوادى السـعيد » • الناشر : لصمويل جونسون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١ •
٣٨ ـ « رحلة الشرق والغرب » • الناشر : دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٢ •
٣٩ ـ « ثقافتنا فى مفترق الطرق » • الناشر : دار الأداب ، بيروت ، ١٩٧٤ •
٤٠ ـ « أقنعة الناصرية السبعة » • الناشر : دار القضايا بيروت : الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٦ : الطبعـة الثانية ، القاهـرة ، ١٩٧٦ •
٤١ ـ « لمصر والحرية » • الناشر : دار القضـايا ، بيروت ، ١٩٧٧ •
٤٢ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الآول : الخلفية التاريخية : الجـزء الأول) • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ •
٤٣ ـ « مقدمة فى فقـه اللغـة العربية » • الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ •
٤٤ ـ « تاريخ الفكر المصرى الحديث » من عصـر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الاول : الخلفية التاريخية.

الجـزء الثانى) . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

٤٥ ـ « تاريخ الفـكر المصرى الحديث » من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ (المبحث الثانى : الفكر السياسى والاجتماعى) الجـزء الثـالث ، الناشر : مكتبـة مدبولى القاهرة ١٩٨٦ .

٤٦ ـ « اقنعة اوروبية » . الناشر : دار ومطـابع المستقبل ، القاهـرة ١٩٨٦ .

رقـم الايـداع
٨٦/٣٨٢٩

مطبعـة الطـويل
٤٧ شارع نظيف ـ روض الفـرج
تليفون : ٩٤٠٨٧٩

محاورات الدكتور لويس عوض الجديدة هى الأفكار التى تراوده فى مواضيع الفكر والسياسة والاجتماع ودليل قارئه الذكى إلى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية .

المستقبل بالفجالة والإسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت